سلسلة التعريف بالتراث الجزائري ٢

إرشاد المتعلمين

تأليف

شيخ الجماعة عبد القادر بن عبد الله المجاوي التلمساني

نزيل قسنطينة

(١٨٤٨ - ١٩١٤م)

ويليه

نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية

بقلم

محمود ابن الشيخ علي الجزائري

ويليه

مبادئ التربية عند المسلمين

للشيخ المحقق محمد بن أبي شنب المدوني

ومعها

قصيدتان لابن شنب وابن الموهوب

في الحث على النهضة وطلب العلوم والمعارف

تحقيق وتقديم وتعليق

عادل بن الحاج همال الجزائري



دار ابن حزم

إِرْشَادُ المُتَعَلِّمِين


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة التعريف بالتراث الجزائري ٢

إرشاد المتعلمين

تأليف

شيخ الجماعة عبد القادر بن عبد الله المجاوي التلمساني
نزيل قسنطينة
(١٨٤٨ - ١٩١٤م)

ويليه

نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية

بقلم

محمود ابن الشيخ علي الجزائري

ويليه

مبادئ التربية عند المسلمين

للشيخ المحقق محمد بن أبي شنب المدوني

ومعها

قصيدتان لابن شنب وابن الموهوب في الحث على النهضة وطلب العلوم والمعارف

تحقيق وتقديم وتعليق

عادل بن الحاج همال الجزائري



دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ISBN 978–9953–81–562-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



4 شارع الهواء الجميل، باش جراح - الجزائر العاصمة
هاتف: 266016 - 267152 (021)
فاكس: 267165 (021)

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

- «العلاّمة الأستاذ عبدالقادر المجاوي ـ رحمه الله ـ هذا الرجل هو أبو النهضة العلميّة بقسنطينة، وهو شيخ الناس بجميع عمالتها، عليه تخرَّج القضاة ورجال المحاكم والتدريس والفتوى، فلا تجد واحداً من هؤلاء إلاّ وهو من تلامذته، ولو كان هذا الرجل من أمةٍ عالمة لأحيت ذكراه في كلّ مناسبة...».

الشهاب: مارس 1932 م

- «انتشرت دعوته التي تبنّاها في قسنطينة بالذات تلميذه المولود ابن الموهوب ثم الشيخ عبدالحميد بن باديس...».

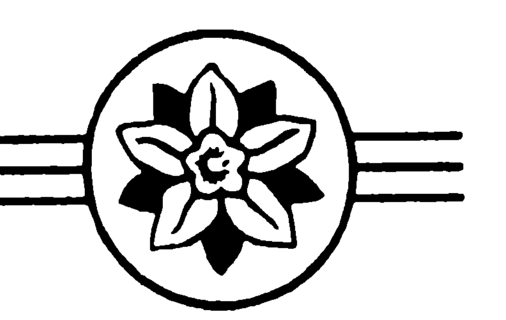
الدكتور أبو القاسم سعد الله

«هو مثالٌ للعالم في شتّى العلوم الإسلامية والعربية، وإنه في هذه السّعة العلمية يمثل النزعة السّلفية ويرى أن الاقتداء بالسّلف الصالح صيانة الدين والعربية في الجزائر».

الأستاذ محمد الصالح الصديق

- «ما كثُر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد، فإننا نرى الأولاد مهملين يتعلّمون الفساد، وإننا نرى الأمم الحية إنما حصل لها الرُّقي بتربية أولادهم وتعليمهم العلوم النافعة والمعرفة المفيدة...».
- «التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه، إذ تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة بهذه الأقطار لا يفيد المتعلم. فلا بد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما إذا اقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معاً ولا حول ولا قوة إلا بالله...».

اللمع على نظم البدع للمجاوي



مقدمة المعتني

بسم الله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلّى الله وسلّم على محمد نبيه، وأشرف خلقه من عرب وعجم، وآله الأطهار الأخيار، وصحابته الأتقياء الأبرار.

أما بعد: فهذا هو العدد الثاني من سلسلة التعريف بالتراث الجزائري وهو يحوي المواضيع التالية:

أولاً: رسالة الشيخ العلاّمة المربّي شيخ الجماعة عبدالقادر بن عبدالله المجاوي التلمساني نزيل قسنطينة المتوفى بها سنة **1914**م ـ رحمه الله تعالى ـ الموسومة بـ«**إرشاد المتعلمين**»، وموضوعها كعنوانها وهو تعليم المتعلم المبتدئ طرق التعلم ومبادئه. وجعلتها أصل موضوع العدد.

ثانياً: رسالة الشيخ محمود ابن الشيخ المفتي علي بن الأمين الجزائري المسماة بـ«**نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية**»، وموضوعها التعريف بالعلم وشرفه وذمّ الجهل وغوائله وحثّ الآباء على تعليم أبنائهم، وجعلتها مكمِّلةً للرسالة الأولى على النحو الذي شرحته في مقدمة العدد الأول.

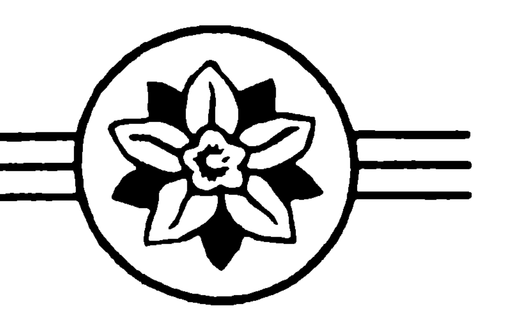
ثالثاً: رسالة في تربية الأولاد عند المسلمين للدكتور محمد بن أبي شنب اللمدوني، ومعها قصيدتان في الحثّ على النهضة وطلب العلوم والمعارف، الأولى: للشيخ الدكتور محمد بن أبي شنب السابق الذكر، والثانية: للشيخ المولود بن الموهوب القسنطيني، جزى الله محسنهم وتجاوز عن مسيئهم.

هذا ولعلّي بنشر مواضيع هذا العدد أكون قد أسهمت بدوري ـ أنا الآخر ـ في دعوة المسلمين عموماً والجزائريين على وجه الخصوص ـ مرةً أخرى ـ إلى النهضة بطلب العلوم والمعارف التي حثّ عليها دينهم، وعُرف بها سلفهم، والتي أنجت أجدادهم من مخالب الاستعمار البغيض.

والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَ العالمين.





مدخل

اعتنى الإسلام بالعلم ورفع أهله إلى أعلى المقامات، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وخاطب نبيه ﷺ فقال: ﴿ٱقْرَأْ...﴾ [العلق: 1]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114]. وجاءت السنّة النبوية كذلك تأمر به وتحث عليه، قال النبيّ ﷺ: «**طلبُ العلم فريضة على كل مسلم**»[1]، وقال: «**مَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة**...»[2]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على فضل العلم وشرفه، وعلوّ مرتبته ورفعته.

ولما كان العلم بتلك المنزلة من الشرف، متبوّءاً أعلى الغرف، فقد أولاه المسلمون عنايتهم الخاصة حتى عُرفوا به وعُرف بهم، فلم يقفوا في طَرق بابه عند حد، ولم يقف لهم في طريق رقيّهم سد...

وكان من مظاهر عنايتهم بالعلم الاهتمام بتعليم الناشئة من المتعلمين والولدان حتى يشبوا على أساس متين وأرضية صلبة، ويلجوا العلم من بابه الصحيح. ولأجل هذا صنفوا الكتب التوجيهية في طرق تأديبهم وتربيتهم، وفي بيان أحكام العالم والمتعلم وآدابهما، ومنهم مَن وضع لهم كتباً ورسائل تعليمية في فن من الفنون، ومنهم مَن خشي على ولده فكتب له يوصيه...

(1) سيأتي تخريجه ص(89) من هذا الكتاب.

(2) أخرجه مسلم (2699).

ومن هذا الباب ما ألفه العلماء في أسامي العلوم وذكر مبادئها، وذلك ببيان حد العلم وواضعه وبعض قواعده وحكمه وفوائده.. تسهيلاً على الناشئين في العلم وتمكينهم من الإلمام بتصور مختلف مسائل العلوم والمعارف الإنسانية المتنوعة ومعرفة فوائدها.

فمن التآليف في هذا الموضوع كتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي والخوارزمي، و«إتمام الدراية لقرّاء النقاية» للسيوطي، و«اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم» للشيخ زكريا الأنصاري، و«أبجد العلوم» لصديق حسن خان القنوجي، و«العلم والعلماء» لأبي بكر جابر الجزائري.. وغيرها.

ومن العلماء مَن تطرق لهذا الموضوع في ثنايا تآليفه، كالقاضي أبي بكر بن العربي المالكي في العواصم من القواصم[1]، وابن خلدون في المقدمة والونشريسي في المعيار.. وغيرهم.

وممن ألَّف في أحكام العالم والمتعلم، الشيخ أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى **1102**هـ، في كتاب «القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم»، والشيخ العربي بن عبدالله المساري، في أرجوزة «سراج طلاب العلوم»...

وممن وضع لهم كتباً ورسائل تعليمية في فن من الفنون لتيسيره وتقريبه، ابن أبي زيد القيرواني في «الرسالة»، والقاضي عياض اليحصبي في «الإعلام بحدود قواعد الإسلام»، والإمام عبدالحق الإشبيلي نزيل بجاية ومفخرتها في «تلقين الوليد الصغير»، وأبو عبدالله التجيبي في «تلقين الوليد»، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي المتوفى سنة **604**هـ، في كتاب «ألف با»[2]، قال فيه:

---

(1) نشر بقسنطينة بتحقيق العلاّمة عبدالحميد بن باديس ثم أعاد نشره بالجزائر الأستاذ عمار الطالبي.

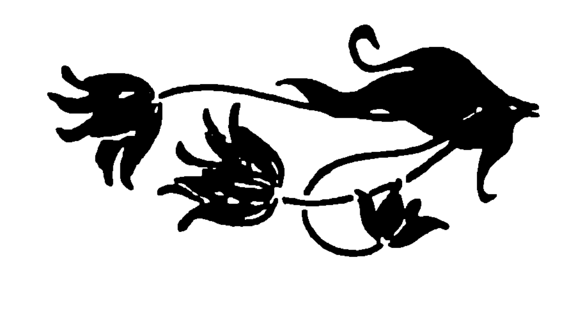
(2) اعتنى به وبفهرسته الشيخ محمد بن أبي شنب رحمه الله، وعمله غير مطبوع.

هــذا كــتــاب «ألــف بــا» صــنــعــتــه يــا ألــبــا
مــن أجــل نــجــلــي الــمــرجــى إذ شــدا أن يــلــبــا
أدعــو لــعــلــم ومــن حــق مَــن دَعــى أن يُــلــبــا
وأنــت عــبــدالَــرحــيــم الــطــفــل الــصــغــيــر الــمــربــا

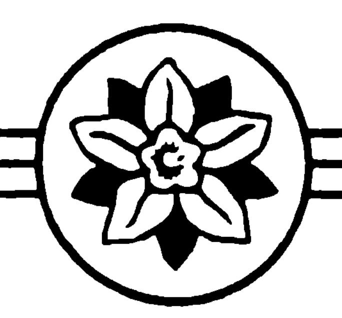
وممن خشي على ولده فكتب له يوصيه، أبو الوليد الباجي في وصيته لولديه، وابن الخطيب في وصيته لأولاده، وابن الجوزي في نصيحته لابنه، وابن عمار الكلاعي في نصيحته لابنه، ومما قال فيها:

وبعدُ فإن نصح الناس فرضٌ ونبدأ في النصيحة بالبنينا
بُنيَّ قد بذلت النصح فاقبل ولا تردد نصيحة ناصحينا
ألا فاعلم فإن العلم وصفٌ به رَفع الإله العالِمينا
متى ما لم تكن من حامليه تكثّر من سَواد الجاهلينا
وقيمة مَن ترى في الأرض يمشي بقدر دخوله في العالِمينا[1]

وغيرها من المؤلفات التي لو جمعت عناوينها لجاءت في كتاب.



(1) من كتاب تلقين الوليد الصغير لعبدالحق الإشبيلي بتحقيق بدر العمراني، وبذيله الوصية المذكورة بضبط وتصحيح الشيخ محمد بوخبزة الحسني التطواني حفظه الله.



تطوُّر التعلم والتعليم في القطر الجزائري[1]

إضافة إلى الرصيد العلمي الكبير الذي عرفته فترة الزيانيين غرباً وفترة الحفصيين بشرق القطر الجزائري، فقد كان لهجرة الأندلسيين بعد سقوط غرناطة في القرن التاسع أثرٌ كبير على الحياة العلمية بنواحيها المختلفة بمدن المغرب الكبير عموماً والجزائر على وجه الخصوص، حيث استطاعوا أن ينقلوا طريقتهم الخاصة بهم إليها.

وقد شمل هذا التأثير الأندلسي أيضاً ميادين الأدب والعلوم وسائر الفنون، وكان هناك علماء مختصون في كل فن من هذه الفنون درّسوه وألّفوا فيه وأثّروا به على الأجيال اللاحقة، ولكن لم تمر فترة طويلة حتى عرفت البلاد عهداً جديداً من الحكم سيكون له تأثيرٌ في تدهور أحوال التعليم.

● في العهد التركي:

يقول الأستاذ القماري: «المعروف أن العثمانيين لم يتدخلوا في توجيه الحياة الثقافية في البلدان التابعة لهم، ومن ثمة كانت الثقافة العربية في كلٍّ من الجزائر وتونس تمتاز بالركود ونفس الظاهرة نجدها في المغرب.. ولكن وجود جامع القرويين بالمغرب، وجامع الزيتونة في تونس قد حصَّن البلدين ضد فعالية الاستعمار في كل منهما، أما الجزائر فلم تكن تتمتع بمؤسسة

(1) مُلَخَّصاً بتصرف من كتب الأستاذ أبي القاسم سعد الله القماري.

دينية تعليمية عريقة كالتي ذكرناه لا قبل ولا بعد الاستعمار، وهذا ما ساعد على تعريض الثقافة العربية فيها إلى خطر التشويه بل الذوبان...»[(1)].

ومع ذلك فقد عرفت القرون الثلاثة التي عاشتها الجزائر العثمانية إنتاجاً علمياً شمل مختلف الميادين ومنها: الفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والتاريخ والتفسير والأدب والشعر والطب والفلك... كل ذلك بفضل نشاط مَن يسمّيهم الشيخ البشير الإبراهيمي - رحمه الله - **العلماءَ الشعبيّين**[(2)]، الذين توارثوا صناعة العلم خلفاً عن سلف في المساجد والمدارس وزوايا العلم وعن طريق التأليف والرحلة للقاء العلماء... وغيرها من التقاليد العلمية المعروفة عندهم.

● في العهد الفرنسي الاستعماري:

منذ اللحظات الأولى للاحتلال أخذ الفرنسيون في هدم المساجد والكتاتيب وبعض الزوايا التي كانت كلها تقوم بنشر التعليم، والتي كان منها يتخرج المفتون والقضاة والمدرسون والفقهاء والعلماء، كما استولى الفرنسيون على الأوقاف الإسلامية وجعلوها من أملاك الدولة، كذلك أخضعوا كل الشؤون الدينية إلى حكامهم وإدارتهم ووضع علماؤهم (المستشرقون) أيديهم على مكتبات الزوايا والمساجد والمكتبات الخاصة.

وبحلول سنة **1848** انتهى جهاد الأمير عبدالقادر غرب ووسط الجزائر، كما انتهى جهاد الحاج أحمد باي قسنطينة في شرقها، وهاجر أكثر العلماء ونُفي الباقي وبذلك أُسْدِلَ الستار على حضارة الجزائر الإسلامية، وفتح المجال أمام عهدٍ جديد... عهد الحضارة الأوروبية.

يقول الأستاذ القماري: «بهجرة العلماء وبنفيهم في نهاية الأربعينات

---

(1) مقال له بعنوان: «مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830 - 1954» مجلة الثقافة الجزائرية عدد 79 - يناير/فبراير 1984م ص (55 - 56) بتصرف.

(2) من شريط سمعي له بعنوان: «الإسلام في الجزائر ماضيه وحاضره». وانظر أيضاً: «آثار الإبراهيمي» جمع الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

من القرن الماضي، انتقل تأثيرهم إلى خارج الجزائر أو انتهى معهم.. ولا ندري بالضبط متى انتهت حياة البعض منهم، ولكن الذي لا شك فيه هو أن الجزائر قد عانت من غيبتهم فراغاً هائلا في الثقافة الوطنية»[1].

وهكذا فقد ترك الفرنسيون التعليم يموت تدريجياً واشتغلوا بالاستيلاء على الأراضي وتوطين أبنائهم فيها ومحاربة المقاومين..

يقول الأستاذ القماري أيضاً: «لم يبق الجزائريون مكتوفي الأيدي إزاء تعليم أبنائهم الذي هو واجب مقدّس بل تصرفوا بما في طاقتهم، فعلموهم في بيوتهم وفي الكتاتيب الباقية، وأرسلوا بهم إلى زوايا المرابطين في رؤوس الجبال والمناطق النائية، وهاجروا بهم إلى المغرب وتونس وغيرهما، كما طالبوا السلطات الفرنسية أن ترخص لهم بفتح المدارس لأبنائهم...»[2].

• نشأة المدارس الشرعية الفرنسية:

في سنة **1850** صدر مرسوم إنشاء المدارس الشرعية الفرنسية، وقد نص على إنشاء ثلاث مدارس واحدة في قسنطينة وأخرى بتلمسان وثالثة بالمدية توضع تحت إشراف السلطات العسكرية.

يقول المستشرق اللئيم (ألفرد بل)[3]: «إن الهدف من إنشاء المدارس

---

(1) مدارس الثقافة ص (62 ـ 63).

(2) التاريخ الثقافي (3/ 323).

(3) قال عنه البشير الإبراهيمي رحمه الله: «هو رجلٌ له دعوى عريضة في الاستشراق وتطفّلٌ على موائد المستشرقين، وله اشتغال بالمباحث الإسلامية وبالأخص الدين والعادات، وهو يتناول هذه المباحث بعقلٍ مريض ونفسٍ مملوءة حقداً على الإسلام. وغايته من كل أعماله تصوير الإسلام للأوروبيين تصويراً مشوهاً قبيحاً وحمل الجاهلين منهم بحقائقه على اعتقاد أن الإسلام هو هذه المظاهر السخيفة التي يقوم بها الطرقيون..» من آثاره (1/ 218 فما بعده).
وقال مؤلف كتاب (مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف) (222 ـ 223): «ألفرد بل، أحد المعمرين المستشرقين الذين لعبوا دوراً هاماً في تثبيت أركان=

الشرعية الفرنسية، هو إعادة الثقة للمغلوبين (الجزائريين) وجلب الطلبة الذين كانوا من قبل يتوجهون للدراسة في الجامعات الأجنبية!! وخصوصاً المغرب، والمقصود من المدارس تكوين المترشحين للوظائف المتصلة بمصالح الدين والقضاء والتعليم العام للأهالي وللمكاتب العربية»[1].

لكن يقول الأستاذ القماري: «لقد كانت المدارس الشرعية الفرنسية وسيلةً أخرى لتجنيد الجزائريين إلى جانب الإدارة الفرنسية، فبعد الفراغ الذي خلَّفه المتعصبون ـ أي: في نظر الاستعمار ـ المعاصرون للحملة، وهم الذين حملوا السلاح وقاوموا الاحتلال، أرادت السلطات الفرنسية أن تعلِّم جيلاً من أبناء هؤلاء ليكونوا لها مطية في تولي الوظائف القضائية والدينية، كما تولى القسم الآخر من هذا الجيل الوظائف الإدارية الباشغوات والأغوات والقياد (إلخ) وقد أثمرت الجهود. . . »[2].

«وقد كان المسيرون لهذه المؤسسات مستشرقين فرنسيين يعرفون قواعد اللغة العربية لكنهم يجهلون أسرارها، ويدرسون منها الأشعار والأمثال ولكنهم أبعد ما يكونون عن الذوق الأدبي لهذه اللغة. فكانوا يُعلِّمون العربية بالفرنسية، ويعتبرون اللغة أداةً وظيفية لا حسّ فيها ولا ذوق ولا جمال. لذلك لا نستغرب أن تضعف الملكة وينخفض الإنتاج ويهبط الحس الأدبي لدى الجزائريين الذين تخرجوا من هذه المدارس، ولم يكن في وسعهم أن

= الاستعمار في الجزائر، كان مديراً للمدرسة الرسمية (FRANCO- MUSULMANE) ولا يحسن النطق بالعربية، يتحدث بأنفه، كانت له ضيعةٌ كبيرة بناحية عين فزة بتلمسان ويعد من كولون الناحية. كانت المدينة كلها تبغضه لحقده على العرب والمسلمين، وحينما يمر في السوق يهرب منه معارفه، ويظهر لكل من خالطه أن الأعمال التي قام بها والدراسات التي نسبت إليه ليست من عمله، فقد كان يستغل الغوثي بوعلي والشيخ عبدالسلام أبا بكر ابن القاضي شعيب وغيرهما. كما كان يستفز العلماء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي ومن قبله الشيخ أحمد بوعروق. وكان يمر كل صباح على جماعة الإصلاح بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة، ويقف معهم (دون جلوس) ويبدأ حواره معهم بقصد استفزازهم وجرح مشاعرهم بكلام قبيح. . .».

(1) التاريخ الثقافي (3/ 370).

(2) المصدر نفسه (3/ 374).

يعوضوا هذا النقص بالقراءة في كتب الأقدمين والمشاركة في مسايرة النهضة بالمشرق العربي. . . »[1].

أما زوايا العلم والقرآن: «فبعد نجاح الاستعمار في التوغل في الريف أيضاً ومراقبة المعلمين والتلاميذ ضعف التعليم هناك أيضاً، وحوصر إدارياً بالقوانين ولغوياً بالفرنسية سيما منذ الستينات، وفي هذه الأثناء نشأت زوايا جديدة مثل زوايا الهامل وأولاد جلال وقصر البخاري، وفتحت زاوية نفطة أبوابها للجزائريين، وظلت زوايا زواوة مستمرة في التعليم إلى ثورة **1871**م. ومع ضغط الاستعمار في عهد الجمهورية الثالثة كادت حركة التعليم الإسلامي تختفي، وهكذا ارتمى الناس في أحضان الطرق الصوفية والغموض والدروشة، واعتقدوا أن الخلاص لم يعد بالسلاح ولا بالتعليم ولكن ببركة الشيخ الصوفي والمرابط. . . »[2] وعمَّ الجهل في الناس وطم.

• جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنقذ الموقف:

في الحجاز التقى الشيخ ابن باديس برفيقيه فيما بعد الإبراهيمي والعقبي، واتفقوا هناك على العودة إلى الجزائر والقيام بنهضة تتمثل في نشر التعليم وإحياء اللغة العربية وبثّ الإصلاح الديني والاجتماعي، وإعداد الشعب لتحمل مسؤولياته، والتمهيد لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي صار لها بعد سنوات الأثر الكبير في إحياء ما أماته الاستعمار.

يقول الأستاذ القماري: «قد أثّر المصلحون تأثيراً كبيراً على الحياة الثقافية عامة، فكان لهم الفضل في نشر البيان العربي السائد عندئذ في المشرق وتصفية اللغة العربية في الجزائر من العجمة التي انتشرت فيها خلال عهد طويل على يد المستشرقين الفرنسيين والمترجمين العسكريين والعلماء المزدوجين الذين كانت تغلب عليهم اللغة الفرنسية بحكم منطق (الغلبة للأقوى)، وقد ساهمت المدرسة الإصلاحية في ربط الشعب الجزائري

---

(1) مدارس الثقافة العربية ص(66 ـ 67).

(2) التاريخ الثقافي (3/ 30 ـ 31).

بماضيه وتذكيره بأمجاده وإحياء تراثه عن طريق الكلمة المكتوبة شعراً ونثراً وعن طريق الكلمة المقولة، أما الكلمة المكتوبة فقد نشرها أصحابها عن طريق الصحافة وعن طريق الكتاب أو التأليف، وأما الكلمة المقولة فقد نشروها عن طريق الوعظ والإرشاد في المدارس، وعن طريق تشجيع الخطابة لدى التلاميذ... وقد تميزوا بإنشاء المدارس ونشر التعليم فيها وتأسيس المساجد الحرة (غير الخاضعة لسلطة الإدارة الفرنسية) وبث دروس الوعظ والإرشاد على منابرها وفي حلقاتها، وبهذه الطريقة كثرت المدارس والمساجد الحرة التي أصبحت معاقل للفكر الإصلاحي، وكان التعليم يقوم على زرع الروح الوطنية في النشء الجديد وتعليمه اللغة العربية، وكان الوعظ يقوم على توعية الجماهير وفصلها عن مراكز الطرقية التي عششت في الجزائر طيلة العهد العثماني وركدت وتعفنت في العهد الفرنسي، ولو عددنا المدارس والمساجد التي بنيت من أموال الشعب لطالت القائمة...»[1].

ورحم الله الشيخ محمد السعيد الزاهري القائل[2]:

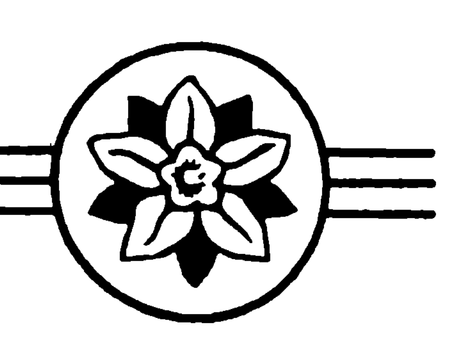
حيِّ العروبة في جمعية العُلَما	وحيِّ ـ ويحك ـ فيها الدين والشّيَما
جمعيةٌ أخلصت لله نيّتها	وللبلاد، فكم ذا تبذل الخدما
جمعيةٌ لا تزال الدهرَ ماضيةً	من يوم نشأتها نحو العُلا قُدُما
تدعو إلى الله عن علم وبيّنةٍ	لا كالذين إلى جهلٍ دعَوا وعَمى
هذي الجزائرُ كانت في الورى عَدَما	بين الشعوب، ومن ذا يبعث العَدَما
ومذ أتى علماءُ الدِّين واندفعوا	يستنهضون إلى إصلاحها الهِمَما
ويعملون على نشر العلوم بها	أضحت تشابه في أعمالها الأُمما
رعاكم الله أهلَ العلم إنكم	تعلِّمون الورى القرآن والحِكما
ما زلتمُ تنصرون العلمَ عن ثقةٍ	حتى تصدَّع حصن الشرّ وانهزما[3]

---

(1) مدارس الثقافة العربية ص(91 ـ 92) مع تقديم وتأخير وتصرف.

(2) مجلة الشهاب (9/10) أوت 1934.

(3) راجع بقية مراحل تطور التعليم في مقدمة الموضوع الثاني.



كتاب «إرشاد المتعلمين» للمجاوي

في سنة 1294هـ /1877م صدر بالمطبعة الوهبية بمصر كتاب إرشاد المتعلمين للشيخ عبدالقادر المجاوي بتقريظ جماعة من علماء مصر والشام، وموضوعه التعريف بالعلوم ومبادئها وتعليم الناشئة طريق التعلم، وهي دعوة عرفها العلماء قبله وألفوا فيها التآليف الكثيرة.

وظهر الكتاب في سنوات السيطرة الاستعمارية على الجزائر، وانطلاق الفرنسيين في الدعوة إلى إحلال علومهم ونظمهم محل علوم المسلمين وحضارتهم بعد خلوِّ البلاد من الناس (العلماء)، فلذلك صارت دعوة المجاوي مختلفة عن دعوات العلماء قبله.. فهي دعوة سياسية بالدرجة الأولى تهدف إلى مواجهة حركة الفرنَسة والذوبان.

يقول الأستاذ القماري: «هي رسالةٌ كثيرة الفائدة في وقته، دعا فيها إلى الإصلاح الاجتماعي بنقده للتقليد، كما دعا مواطنيه والمسلمين عامة إلى نبذ الركود والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة...»[1].

عملي في الكتاب:

هذا وقد كان عملي في الكتاب على النهج الآتي:

---

(1) ضمن مجلة «الثقافة» (1978) مقال بعنوان: «حول بداية النهضة الجزائرية... كتيب لعبدالقادر المجاوي» بقلم آلان كريستلو. صوّر فيه علاقة الكتاب بالصحوة التي قادها عبدالحميد بن باديس وعلماء الجمعية.

1 ـ نسخ الكتاب مع تصحيح الأخطاء المطبعية، واستدراك السقط وتصويب التصحيف.

2 ـ عزو الآيات القرآنية ـ إن وُجدت ـ وتخريج الأحاديث النبوية.

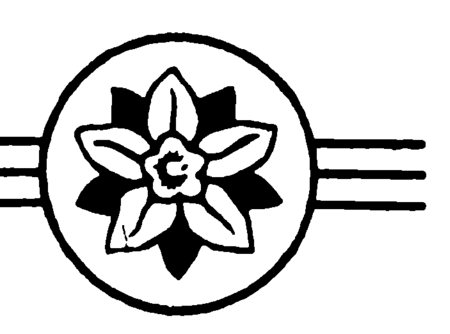
3 ـ التعليق على بعض مواطن الكتاب.

4 ـ التقديم بمقدمة مختصرة في التعريف بالعلم والتعليم ومكانته في الإسلام، والتعريف بتطوُّر العلم والتعليم في القطر الجزائري. والتعريف بكتاب العدد.

5 ـ ترجمة المصنف بالاعتماد على المصادر المتاحة.

6 ـ وضع الفهرس الموضوعي.





ترجمة الشيخ عبدالقادر المجاوي[1]

تمهيد: بعد هجرة أكثر العلماء والمجاهدين والأعيان، خَلَتِ الديار من أهلها وصارت الدولة للفرنسيس... فاستبد بنفوس الناس جمود وخمول خَيَّم عليه اليأس والقنوط. وصار أكثر حالهم كما يروي المستشرق الفرنسي (جوزيف ديبارمي) عنهم: «... **المسلم (الجزائري) لا يخرج من داره إلا ذليلاً ومحجّباً كالمرأة لأن الشارع فيه حضارةٌ أخرى، وهي حضارة الرّومي (الفرنسي)... المسلمون أهينوا على يد الكفار...**»[2].

وفي هذا الظرف البائس كان هناك.. في خبايا الزوايا بعض البقايا، وهم صنفٌ من العلماء والطلبة الذين كانوا يستكملون مهمتهم التعليمية رغم الظروف مؤثرين البقاء مع الناس على الهجرة.

قال الشيخ محمد بيرم التونسي في (رحلته): «ومن الأخيار الذين اجتمعت بهم ومنحوني فضائل أخلاقهم النحرير العالم الشيخ علي بن الحفاف المالكي بقاعدة الجزائر، وهو من تلامذة علّامة القطر الإفريقي الشيخ إبراهيم الرياحي، كما أخبرني بذلك عن نفسه، وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع وسعة في الفقه والحديث، **وذاكرني في الهجرة.**

---

(1) ملخصاً بتصرف وإضافة من كتاب «أعلام المغرب العربي» لمحمد الصالح الصديق (1/30 ـ وما بعدها) وانظر لترجمته أيضاً كتاب «تعريف الخلف» للحفناوي، و«نهضة الجزائر الحديثة» لمحمد علي دبوز.

(2) التاريخ الثقافي (8/ 132).

فذكّرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك القطر، وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله تعالى من خروجه برأسه، وأن بقاء تلك الأمة المسلمة خالية عن مثله بل ربما حمل خروجه غيره ممن هو على شاكلته على الخروج فتبقى العامة بلا تعلم لديانتهم، وتضمحل منهم الديانة شيئاً فشيئا والعياذ بالله. بخلاف ما إذا بقي هو وأمثاله فإنه تنتشر تعاليم الإسلام والفقه. وتبقى الديانة إن شاء الله تعالى محفوظة في الأهالي، وذلك منصوص عليه في كتب فقهنا حتى إن الأسارى إذا لم يمكن فداؤهم جملة فيؤخر منهم العلماء[1]. . . »[2].

وعلى هذا الرأي لم يهاجر جماعة من العلماء .. وكان من بينهم شيخ الجماعة عبدالقادر المجاوي.

فمن هو عبدالقادر المجاوي؟

قالت مجلة الشهاب (8/3) عند تقريظها لكتاب الجزائر للأستاذ توفيق المدني: «إن الكتاب وضع على الاختصار فما كنا لنطالب مؤلفه باستقصاء جميع الرجال، ولكنه سكت عن أفراد لا تكمل الصورة التاريخية إلا بهم منهم: العلاّمة الأستاذ عبدالقادر المجاوي ـ رحمه الله ـ هذا الرجل هو أبو النهضة العلميّة بقسنطينة، وهو شيخ الناس بجميع عمالتها، عليه تخرَّج القضاة ورجال المحاكم والتدريس والفتوى، فلا تجد واحداً من هؤلاء إلاّ وهو من تلامذته، ولو كان هذا الرجل من أمةٍ عالمة لأحيت ذكراه في كلّ مناسبة. . . ».

• مولده ونشأته وطلبه للعلم:

هو عبدالقادر بن عبدالله بن محمد الحسني الجليلي المجاوي نسبةً إلى قبيلة بشمال المغرب الأقصى، ولد بتلمسان سنة **1264هـ/1948م** في أسرة

(1) يعني: بقاءهم مع بقية المأسورين وفي ذلك تثبيت لهم.
(2) أعلام المغرب العربي (1/ 30، 31) والقصة ذكرها باختصار الحفناوي في ترجمة علي بن الحفاف من كتابه تعريف الخلف، وساق رأي الشيخ الهاملي في مسألة الهجرة.

اشتهرت بالعلم والدين، كان والده فقيهاً وقاضياً تقلَّد خطة القضاء بتلمسان خمساً وعشرين سنة ثم في طنجة المغربية. وهناك وفي تطوان أتم الابن عبدالقادر حفظ القرآن الكريم ودراسته الابتدائية.

وفي فاس: التحق عبدالقادر بجامع القرويين الذي كان يشهد فترة النهضة والدعوة إلى تجديد طرق التعليم، وهي الإصلاحات التي طرأت على المغرب وتونس بعد احتلال الجزائر واحتكاك المسلمين بالحضارة الغربية.

ومن شيوخه الذين تخرَّج عليهم وتأثَّر بهم:

الفقيه الشهير محمد العلوي الفاسي، والشيخ العلاَّمة محمد قنون محشي الرهوني على خليل، والعلاَّمة محمد بن سودة، والعلاَّمة المحدِّث محمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الحاج محشي المكودي.

• ميدان التربية والتعليم:

في سن **22** عاد إلى الجزائر وحلَّ بقسنطينة سنة **1869**م مدرساً بزواياها ومساجدها، ثم تصدر للتدريس بجامع الكتاني فأقبل على دروسه الطلاب من جميع النواحي واتسعت شهرته وظهرت كفاءته ومهارته، وتميزت دروسه ومواعظه بالحيوية وغزارة العلم وقوة التأثير وكان يحرص فيها على الدعوة إلى النهوض بالعلم.

يقول الأستاذ القماري: «روى (شارل فيرو) أن الأوساط العلمية بقسنطينة كانت تقول: أن العلم قد انطفأ عند المسلمين بموت سي مصطفى بن جلول وسي المكي بوطالبي.. وبسبب الإدارة الفرنسية التي حرمت عامة الناس من نور العلم جفت ينابيع العلم الحر وغاضت بحور الفكر، وكاد هذا الليل الطويل ألا ينجلي لولا نفحةٌ هبّت من الغرب، ونعني بذلك حلول عبدالقادر المجاوي للتدريس في أحد المساجد بقسنطينة...»[1].

---

(1) التاريخ الثقافي (3/ 127، 128) بتصرف.

وفي سنة 1877م تولى التدريس بمدرسة قسنطينة وبعد سنة عيَّنته الحكومة بمدرسة الجزائر العليا.

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق: «لا شك أن الحكومة إنما عينته في هذه المدارس لتقلل من نشاطه الديني والإصلاحي الذي أخذ يوقظ العقول ويفتح الأبصار ويوجه نحو الطريق القويم، لأن هذا النوع من النشاط أشد ما يهدد الاستعمار...».

لكن كما قال الأستاذ القماري: «حقيقةً أن السلطات الفرنسية كانت تراقب هذا التعليم ولا تريده أن يتجاوز مبادئ الفقه والتوحيد الموجهة للعامة، ولكن المدرس الماهر ذا الضمير الحر يستطيع أن يوصل رسالته إلى التلاميذ النبهاء والحاضرين المتطلعين»[1].

ويقول أيضاً (3/20): «كان مسؤولو هذا التعليم يقاومون سراً وعلانية مستخدمين كل الوسائل لتمرير رسالتهم التربوية، ذلك أن التعليم ليس بالقلم والقرطاس فقط، ولكن بالمثل الأعلى والكلمات المعبّرة والتوجيه القويم والنصائح الخالصة. وإذا كان الفرنسيون قادرين على مراقبة التعليم العربي الإسلامي في المساجد والزوايا والمكاتب، فإنهم غير قادرين على مراقبة التربية والتوجيه الصالح اللَّذَيْن يبثّهما المعلمون في تلاميذهم. ومن هؤلاء ستكون البذرة الخيِّرة للنهضة والحركة الإصلاحية».

ولذلك لم يقتصر الشيخ المجاوي - رحمه الله - على الدروس النظامية فكان من عادته أن يختلط بطلابه خارج الدرس لينفخ فيهم من روحه، وكانت علاقته بهم علاقة أبوية تقوم على المحبة الخالصة والجهاد العلمي النافع، فكان بذلك المثال للمعلم والقدوة والمربي...

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق: «كانت طريقه معهم بهذا الاعتبار يملؤه نورٌ وأمل، نورٌ يكتسح الظلام، وأملٌ يحفّز إلى الأمام رغم فظاعة العهد الاستعماري الذي يعيشونه».

---

(1) المصدر نفسه (3/ 128).

ومن تلامذته: الشيخ حمدان الونيسي، وهو من شيوخ ابن باديس الذين كان لهم أكبر الأثر في توجيهه، وتوجيه الحركة العلمية والإصلاحية بقسنطينة، هاجر إلى المدينة النبوية في أواخر عمره بعد ما أدى ما عليه قبل الحرب الأولى وبها توفي ودفن رحمه الله.

ومنهم: الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة، والشيخ عبدالكريم باش تارزي مفتي الحنفية بقسنطينة، والشيخ حمود الدراجي قاضي الحنفية بالجزائر.. وغيرهم.

نشاطه ودعوته:

وكان الشيخ المجاوي إضافة إلى مهنة التدريس كثير النشاط في النوادي والجمعيات المعاصرة التي نشطت في أوائل القرن، وكانت جريدة (كوكب أفريقيا) للشيخ محمود كحول تنقل محاضراته وكتاباته إلى قرائها وكذلك جريدة (المغرب)[1].

وفي سنة **1908** عُيِّن إماماً وخطيباً بجامع سيدي رمضان بالعاصمة، وكان في دروسه للعامة التي انتشرت واستشرت فيها الجهل والخرافة مثالاً للعالم الناصح المشفق.

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق: «كان يوجه الأنظار دأباً إلى أن الله تعالى قادرٌ على أن يعطي كل أحدٍ ما يحتاجه من متع الحياة بلا عمل وكدح، ولكن حكمة الحياة أن نكافح ونعمل لتكون للحياة لذَّة وحلاوة، فالحياة بلا جهاد وكفاح حياة بلا معنى، والجهاد بكل معانيه المادية والمعنوية هو أساس الحياة، ومناط العزّ في هذه الأرض...».

كما دعا إلى محاربة البدع والعمل بالسنَّة والانقياد إلى الحق.

---

(1) وقفت له على عناوين المقالات التالية: مشاهير العرب الذين تضرب بهم الأمثال، المعاش، العلم، العادة، الطيب العربي قبل الإسلام، الحلم، التربية، شهر المولد النبوي، الكبر والعجب، سماحة النفس، عيد الأضحى أو موسم الحج، تعليم الأطفال، الأربعيات، سلامة الإنسان في حفظ اللسان..

يقول محمد الصالح الصديق: «إنه في هذه السعة العلمية يمثل النزعة السّلفية ويرى أن الاقتداء بالسّلف الصالح صيانة الدين والعربية في الجزائر».

وقال أيضاً عن دعوته إلى تعليم المرأة: «خرق كل ما كان يجمع عليه أهل عصره من الفقهاء، فلم يكتف بالدعوة إلى تعليمها بل دعا إلى تعليمها تعليماً كاملاً».

وفاته:

بعد حياة طويلة من الصبر والتضحية توفي الشيخ المجاوي يوم السبت 6 أكتوبر **1914**م بقسنطينة ودفن بها، وكان يوم دفنه مشهوداً حضره العلماء والطلاب والأعيان وحشد عظيم من طبقات الناس، وألقيت خطب وقصائد شعرية قيلت في حقه من بينها مرثيةً بليغة للشيخ ابن باديس. . رحم الله الشيخ المجاوي وجزاه عن عمله خير الجزاء وأجزله.

مؤلفاته:

كثيرة وكلها تعليمية، والمطبوع منها:

- **إرشاد المتعلمين.**
- **الإفادة لمن يطلب الاستفادة**: طبعة الجزائر **1901**.
- **الاقتصاد السياسي.**
- **تحفة الأخيار في الجبر والاختيار.**
- **الدرر النحوية شرح الشبراوية**: طبعة فونتانا ـ الجزائر **1907**.
- **شرح الجمل النحوية**: طبعة فونتانا.
- **شرح شواهد القطر**: طبعة قسنطينة.
- **شرح لامية المجرادية في المسائل النحوية**: المطبعة البونية **1894**، والمجرادية لأبي عبدالله محمد بن مجراد.

- **شرح منظومة ابن غازي في الوقت.**

- **الفريدة السنية في الأعمال الجيبية**: في الفلك، طبعة فونتانا **1903**.

- **القواعد الكلامية.**

- **اللمع في نظم البدع**: وهو شرح لمنظومة تلميذه المولود بن الموهوب في البدع.

- **نزهة الطرف في المعاني والصرف.**

- **نصيحة المريدين.**

هذا ما تَسَنَّى جمعه من ترجمة الشيخ عبدالقادر المجاوي رحمه الله، وبه تنتهي المقدمة.

الجزائر: صبيحة **22** رمضان **1427**هـ

عادل بن الحاج همال الجزائري



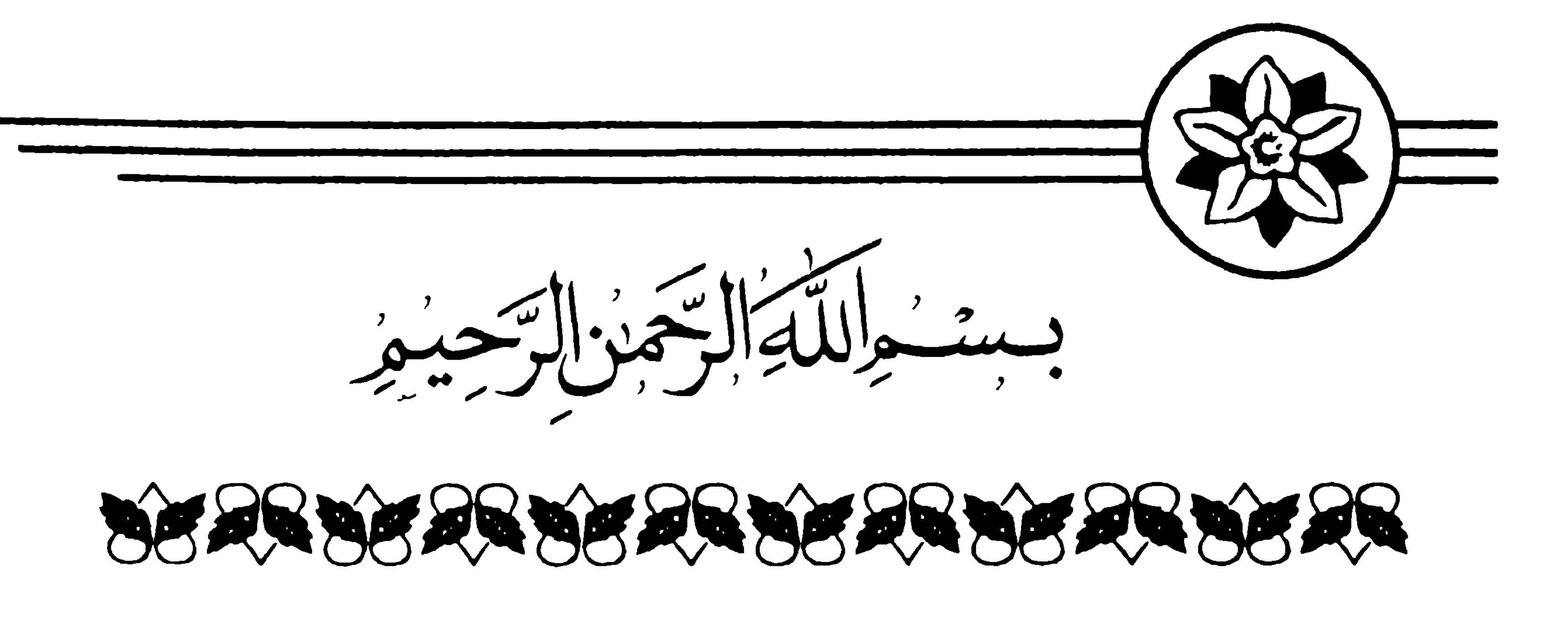
إِرْشَادُ المُتَعَلِّمِين

تأليف

شَيْخ الجَمَاعَة عبد القَادِر بن عَبْد الله المجَاوي التلمسَاني
نزيل قسَنطينَة
(١٨٤٨ - ١٩١٤م)

تحقيق وتقديم وتعليق

عَادِل بن الحَاج همَال الجزائِري



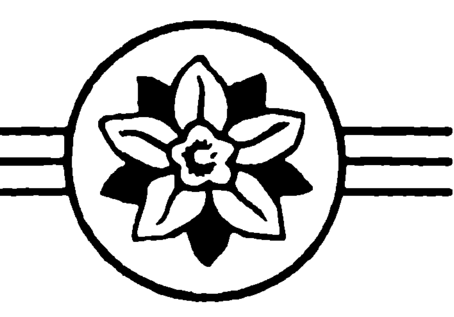
أقول بعد البسملة والحمدلة والصلاة والتسليم على صاحب الخُلُقِ العظيم، إن من أشرف ما تميّز به الإنسان على سائر الحيوان، النطق ولا نطق إلا بالعلم كما لا علم بدون معلّم، ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين حتى إن أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل فإذا تباعدوا ضبَحوا ضبوح الثعالب، وإذ تقاربوا قبَعوا قبوع القنافذ فهم كما قال الشاعر:

حديثُ بني قرطٍ إذا ما لقيتهم كنزوِ الدُّبى في العَرْفَجِ المتقارب

وسبب ذلك هو عدم اعتنائهم بالعلوم التي بها تهذيب أخلاقهم وإصلاح منطقهم، فلما رأيت بعض الطلبة اللائذين بي لهم ميلٌ إلى تعلُّم بعض العلوم الشرعية والأدبية أردت أن أجمع لهم رسالةً في مبادئ بعض العلوم لتكون لهم تبصرةً يهتدون بها إلى العلوم الشريفة وسميتها: «**إرشاد المتعلمين**».

ورتبتها على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

أمّا **المقدمة**: ففي فضل العلم والتعلم وما يجب على كل شخص أن يتعلمه، وأما الفصول، **فالأول**: في علوم اللسان، **والثاني**: في علوم الأديان، **والثالث**: في علوم الأبدان، **والرابع**: في المعاش، وأما **الخاتمة**: فتحتوي على آدابٍ وأمثالٍ وحكمٍ وبعض فصولٍ وأبيات مما تمُس الحاجة إليه.



المقدمة

في فضل العلم والتعلم
وما يجب على كل شخص أن يتعلمه

اِعلم أن الحيوان جسمٌ حيٌّ نام حسّاس متحركٌ بالإرادة، وجميع أنواع الحيوانات من الفيل إلى الذَرّة متقارِبة في الحس والإدراك ما عدا الإنسان فإن الله فضّله على سائرها بالعقل والنطق، ومجرد العقل والنطق لا يفيدان الإنسان شيئاً وإنما شُرِّفا لكونهما واسطة لاكتساب العلوم التي هي نور العقل ومبنى الكلام، ولو كان مجرد النطق يفيد الإنسان ما يحتاج إليه لشاركه الببغاء مثلاً، وكذلك العقل ومبنى الكلام ولو كان كافياً لما احتجنا إلى رُسُل يأمروننا بالمعروف وينهوننا عن المنكر، وبناءً على ذلك نقول: إن الإنسان إذا أراد أن يجني ثمرة امتيازه عن بقية الحيوانات يجب عليه أن يدبَّ في تحصيل العلوم التي عليها مدار المعاش والمعاد ووقت تحصيلها من المهد إلى اللحد. قيل لأنوشروان: أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟ فقال: إذا كانت الجهالة تقبُح منه فالتعلم يحسن به. فقيل: وإلى متى يحسن منه؟ فقال: ما حسنت به الحياة.

ثم إن العلوم أكثر من أن يحاط بها، فعلى العاقل أن يأخذ من كلٍّ أحسنه. قالت العلماء: أول ما يجب على الإنسان أن يتعلم القرآن الشريف أو ما تيسر منه ثم الحديث النبوي لأنه يليه في الفضيلة، ثم علم الفرائض لأنه ثالث علوم الدين ثم علم الفقه لأنه علم الحلال والحرام وبه العصمة

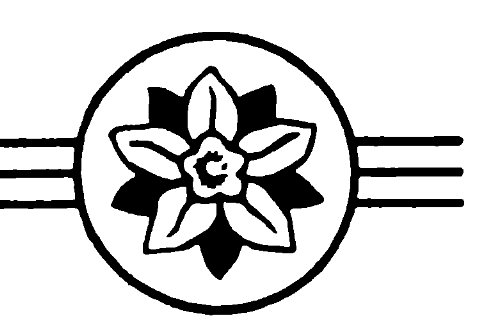
في الدين والزينة في الدنيا، وينبغي له أيضاً أن يتعلم علوم العربية كالنحو والصرف والبيان واللغة وغير ذلك، وكذلك المنطق الذي به العصمة عن الخطأ في الفكر، وعلم الطب الذي به حفظ الصحة ومعالجة الأسقام، وعلم الكتابة والحساب والهندسة والزراعة والمساحة والجغرافية والهيئة وعلم الرماية والسباحة والفروسية، وغير ذلك من العلوم التي هي صفة كمال للإنسان. وعلى المتعلم أن يختار معلماً عالماً بحقائق الأشياء مُجدّاً فصيحاً، ويجب عليه أن يراعي حقوقه. قال بعضهم:

رأيتُ أحقَّ الحقِّ حقَّ المعلم وأوجبه حفظاً على كلّ مسلمِ
لقد حقَّ أن يُهدى إليه كرامةً لتعليم حرفٍ واحدٍ ألف درهمِ

ونظم بعضهم شروط تحصيل العلم بقوله:

ألا لن تنال العلم إلا بستةٍ سأنبيك عن مجموعها ببيانِ
ذكاءٌ وحِرصٌ واصطبارٌ وبلغةٌ وإرشادُ أستاذٍ وطول زمانِ





الفصل الأول

في علوم اللسان

اِعلم أن اللغة العربية هي أقدم لغات العلم المستعملة الآن وأوسعها، وفضلها على غيرها يشهد به كل مَن يعرفها ولو كان أعجمياً، فهي أفصح اللغات منطقاً وبياناً وأكثرها تصرفاً في أساليب الكلام وأقبلها تفنّناً في النثر والنظام، قد ملأها الله من الآداب والحِكم فنالت من الأمثال القديمة والحديثة ما لم ينله غيرها، وهي في الشعر لا يُشقّ لها غبار ولا يباريها مبار، وقد انتشرت في أقطار البسيطة بانتشار الإسلام فدخل منها في كل لغةٍ نصيب ولا سيما اللغة الفارسية والتركية والهندية، فإن هذه اللغات قد تحسنت واكتسبت بها رونقاً بهياً، ثم إن اللغة العربية مأخوذة في الأصل من جملة لغاتٍ قديمة كاللغة العبرانية والسِّريانية ولسان الصوريّين ولسان قدماء العراق. وهي متسعةٌ جداً حتى إن الشيء الواحد ربما سُمّي فيها بأسماء عديدة وذلك كالبعير فإن له ألفَ اسم، والأسد خمسمائة.

وتنقسم علوم العربية وإن شئت قلت: علوم الأدب إلى اثني عشر قسماً نظمها بعضهم بقوله:

صرفٌ بيانٌ معاني النحوُ قافيةٌ شعرٌ عروضٌ اشتقاقُ الخطُ إنشاءُ
محاضراتٌ وثاني عشرها لغةٌ تلك العلوم لها الآداب أسماءُ

وسأذكرها مفصلةً على هذا الترتيب:

● **أما الصرف**[1]: فهو تحويل الأصل الواحد - وهو المصدر - إلى أمثلةٍ مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها، وهو يتعلق بالأفعال المتصرفة والأسماء المتمكّنة أيضاً من حيث التثنيةُ والجمع والنسبة والتصغير. والصرفي ينظر في أبنية الكلِم من حيث السلامة والإعلال والهمز والتضعيف والزيادة والتجريد.

● **وأما البيان**[2]: فهو علمٌ بأصول يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة الوضوح في الدلالة على ذلك المعنى، يعني بعضها أوضح من بعض، مثال ذلك إذا أردت أن تصف زيداً بالكرم تقول: زيدٌ حاتمٌ، وزيدٌ كحاتمٍ، وزيدٌ كثيرُ الرماد، وزيدٌ جبانُ الكاب.

وطرق البيان ثلاثة:

الأول: المجاز، وهو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لمناسبةٍ وقرينةٍ مانعة عن إرادة المعنى الأصلي.

والثاني: الكناية، وهو ما يُطلق من الكلام ويُراد به لازم معناه.

والثالث: التشبيه، وهو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمر في أمر بالكاف ونحوها، وأركانه أربعة. والحقيقة[3] ليست من طرق البيان عند أكثر القوم.

● **وأما المعاني**[4]: فهو علمٌ تُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال، وهذا العلم أفضل العلوم العربية لأن به يعرف علم إعجاز القرآن وبلاغته، وفائدته فهم الخطاب وإنشاء الجواب بحسب

---

(1) راجع: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (1/ 21 ـ 24)، كشف الظنون لحاجي خليفة (2/ 1078).

(2) راجع المقدمة لابن خلدون (550 ـ 553)، أبجد العلوم لصديق حسن خان (2/ 110 ـ 115)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 27 ـ 29)، كشف الظنون (1/ 259 ـ 260).

(3) المقصود بها هنا عكس المجاز وعرفت بأنها اللفظ المستعمل فيما وضع له.

(4) أبجد العلوم (2/ 400 ـ 401)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 26 ـ 27)، كشف الظنون (2/ 1727).

المقاصد والأغراض جارياً على قوانين اللغة في التركيب والحصر. ومطالب هذا الفن في ثمانية أبواب:

الأول: الإسناد الخبري، **والثاني**: أحوال المسنَد إليه، **والثالث**: أحوال المسنِد، **والرابع**: أحوال متعلقات الفعل، **والخامس**: القصر، **والسادس**: الإنشاء، **والسابع**: الفصل والوصل، **والثامن**: الإيجاز والإطناب والمساواة، ولكلٍّ من ذلك أمثلة وأحكام ليس لها محلٌّ هنا.

ويتبع علمَي المعاني والبيان علمٌ آخر يسمّى علمَ البديع ووظيفته تحسين الكلام. وينقسم هذا العلم إلى مُحسِّنات لفظية ومحسِّنات معنوية.

فمن المحسّنات اللفظية: الجِناس، وردُّ العجُز على الصدر، وما لا يستحيل بالانعكاس، والسّجع، والموازنة، ولزوم ما لا يلزم.

ومن المحسّنات المعنوية: التورية، والإيهام، والتوجيه، والاستخدام، ونفي الشيء بإيجابه، والقول بالموجب، والتلميح، وحسن التعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف وغير ذلك.

وتفاصيل ما أجملته هنا هي المبحوث عنها في كتب هذا الفن كخزانة الأدب لابن حجة وغيرها.

● **وأما النحو**(1): فهو علمٌ بأصول يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً، وفائدته الاحتراز عن الخطأ في الكلام إذ لولا الإعراب لالتبس بعض الكلام ببعض، مثلاً إذ قلت ناهياً: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، فإنك إذا رفعتَ «تشرب» يدل على النهي عن الأول وإباحة الثاني، وإن نصبته يدل على النهي عن الجمع بينهما، وإن جزمته يدل على النهي عنهما جميعاً، فقد تلاعب الإعراب بالمعاني والألفاظ جميعاً كما تلاعب في قولهم: ما أحسنُ السماء، ويقال: إن هذا المثال هو الذي حرّض أبا الأسود

(1) المقدمة لابن خلدون (546 ـ 547)، أبجد العلوم لصديق حسن خان (2/ 461 ـ 466)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 24 ـ 27)، كشف الظنون (2/ 1924).

الدؤلي على وضع علم النحو والحكاية مشهورة، قال أبو عثمان الصيرفي يصف النحو:

النحوُ زينٌ للفتى يُكرمه حيث أتى   مَن لم يكن يعرفه فحقُّه أن يسكتا

● **وأما القافية**[1]: فهي علمٌ تعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركةٍ وسكونٍ ولزومٍ وجوازٍ وفصاحةٍ وقباحة. وفائدة هذا العلم الاحتراز عن الخطأ في القافية، والقافية عند واضعه الخليل بن أحمد هي عبارة عن الساكنَين اللذَين في آخر البيت وما بينهما من الحروف المتحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول. وتنقسم القافية باعتبار الحروف المتحركة بين الساكنين إلى خمسة أقسام نظمها الصفيُّ الحِلِّي بقوله:

حصرُ القوافي في حدودٍ خمسةٍ   فاحفظ على الترتيب ما أنا واصفُ
مُتكاوسٌ متراكبٌ متداركٌ   متواترٌ من بعده المترادفُ

وتنقسم القافية أيضاً إلى مطلقةٍ ومقيدة، ومن عيوب القافية: الإيطاء وهو تكرارها بلفظها قبل مُضيِّ سبعة أبيات، والتضمين وهو تعلقها بالبيت الذي بعدها، وهذا العلم سهل جداً فراجعه.

● **وأما الشعر**[2]: وإن شئت قلت: القريض، فهو علمٌ يبحث فيه عن أحوال الأبيات الشعرية لكن ليس من جهة الوزن والقافية بل من جهة الجودة والرداءة والحسن والقبح من حيث كونها شعراً، وغرضه أن يعرف الإنسان كيفية النظم وترتيبه والاقتدار على إنشائه على قانون البلاغة، وهو علمٌ جليل الشأن عظيم الوقع، قال الشاعر:

ولولا خلالٌ سنَّها الشعر ما درت   بُغاة العُلا أين تؤتى المكارمُ

---

(1) أبجد العلوم (2/ 353 ـ 354)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 30)، كشف الظنون (2/ 1305، 1306).

(2) أبجد العلوم (2/ 283 ـ 285)، كشاف اصطلاحات الفنون (2/ 479 ـ 482)، كشف الظنون (2/ 1325).

ولقد أجاد مَن أوصى حسان بن ثابت بقوله: «عليك بمعرفة الشعر ومدارسته فإنه أشرف الآداب وأكرمها وأنورها، به يسخو الرجل وبه يتظرَّف، وبه يجالس الملوك وبه يُخدم وبتركه يتَّضِع». وقسّموا فنون الشعر إلى عشرة أقسام حسبما بوَّب أبو تمام الطائي في الحماسة. وقال عبدالعزيز بن الأصبغ: الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنًّا وهي: غزَلٌ ووصفٌ وفخرٌ ومدحٌ وهِجاءٌ وعِتابٌ واعتذارٌ وأدبٌ وزهدٌ وخمرياتٌ ومراثي وبشاراتٌ وتهاني ووعيدٌ وتحذيرٌ وتعريضٌ ومُلَحٌ وبابٌ معدٌّ للسؤال والجواب. وقسَّموه أيضاً إلى خمسة أقسام:

مرقص: كقول أبي جعفر طلحة وزير سلطان الأندلس:

والشمس لا تشرب خمر الندى ... في الروض إلا من كؤوس الشقيق

ومطرب: كقول زهير:

تراه إذا ما جئته متهلّلا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومقبول: كقول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... وتأتيك بالأخبار مَن لم تزوّدِ

ومسموع: وهو ما يقوم به الوزن دون أن يمجه الطبع، كقول ابن المعتز:

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطّالٍ من المطر

ومتروك: وهو ما كان كَلًّا على السمع والطبع كقول بعضهم:

نقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا ... قلاقل عيسٍ كلُّهن قلاقلُ

● **وأما العروض**[1]: فهو علمٌ بأصول يعرف به الصحيح والفاسد من

---

(1) أبجد العلوم (2/ 315 ـ 316)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 30)، كشف الظنون (1133/2).

أوزان الشعر المعتبرة في البحور الستة عشر على رأي الأخفش وموضوعه الشعر من حيث صحة وزنه وسقمه، وواضعه الخليل كالقافية فقد حصر أشعار العرب في خمس دوائر واستخرج منها خمسة عشر وزناً سمّى كل وزن منها بحراً، نظمها بعضهم على ترتيبها بقوله:

طويلٌ مديدٌ فالبسيطُ فوافرٌ   فكاملُ أهزاجُ الأراجيزُ أرملا
سريعٌ سراحٌ فالخفيفُ مضارعٌ   فمقتضبٌ المجتثُّ قارب لتفضلا

وزاد الأخفش بحراً استخرجه من دائرة المتقارب وسماه المتدارك. والأوزان الشعرية مركبة من التفاعيل، والتفاعيل مركبة من أسباب وأوتاد وفواصل. والطوارئ التي تطرأ على الأوزان الشعرية تنقسم إلى قسمين: زحافات وعلل، وقد جمع بعضهم أسماء الزحافات في قوله:

زِحاف الشعر قبضٌ ثم لفٌّ   بهن الأحرف الأخرى تخصُّ
وخَبنٌ ثم طيٌّ ثم عَصبٌ   وعقلٌ ثم إضمارٌ ووَقصُ

● **وأما الاشتقاق**[1]: فهو علمٌ تُعرف به أصول الكلام وفروعه، وفائدته التمييز بين المشتق والمشتق منه، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام صغيرٌ وكبيرٌ وأكبر، فالصغير هو الذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق وهو الحكم بنسبة لفظ إلى آخر مأخوذ منه، كالحكم بأن الناطق مأخوذٌ من النطق، وأما الكبير فكالحكم بأن الجبذ أصله الجذب، وهذا لا ترتيب في حروفه، وأما الأكبر فكالثلم والثلب.

● **وأما علم الخط**[2]: فهو الرسوم والأشكال الحرفية الدالة على الكلمات المسموعة، الدالة على ما في النفس، وهذه الصناعة شريفةٌ جدًّا وهي من خواص الإنسان وكثيرة النفع عند جميع الأمم، ومن أوصافها أنها

---

(1) أبجد العلوم (2/ 55 ـ 58)، **كشاف اصطلاحات الفنون** (2/ 510 ـ 516)، كشف الظنون (1/ 101 ـ 102).

(2) أبجد العلوم (2/ 221 ـ 231)، كشف الظنون (1/ 707).

روح المعاملات وإحضار الماضي ورسول الغائب ونصف المشاهدة، وهي معروفةٌ من قديم الزمن إلا أنها كانت متعسرة لعدم وجود ما يُكتب عليه، فلما اخترعت العرب الكاغَد سهُلت وتحسنت. ومن ذلك الوقت أخذت العلوم في الانتشار ولما ظهرت صناعة الطباعة زادت الفائدة ورخصت أسعار الكتب. وتطلق الكتابة في اصطلاح الأدباء على صناعة الإنشاء فيقال: فلانٌ كاتب أي: منشئٌ ناثر.

● **وأما الإنشاء**[1]: فهو علمٌ يعرف به كيفية إنشاء النثر الحسَن اللائق بالمقام بعبارات لطيفة، وأنواعه هي: الأمر والنهي والاستفهام والتمنِّي والترجِّي والعرض والتحضيض والنداء والقسَم والتعجُّب، وأفعال المدح والذم وصيغ العقود كبِعتُ واشتريت، وهي الأشهر فيها. ولا يوجد علمٌ من العلوم إلا وهو يحتاج إلى صناعة الإنشاء، وعلى الخصوص علم التاريخ الذي لولاه لما اطّلعنا على أخبار مَن قد سلف، وإنما قلت ذلك لأن موضوع علم التاريخ الأشخاص الماضية من الأنبياء والعلماء والملوك والسلاطين والوزراء والحكماء، وغير ذلك من أحوال الطوائف والأمم الماضية وبلدانها ورسومها وعاداتها وصنائعها وأنسابها. وفائدة هذا العلم الاعتبار بأحوال مَن سلف والانتصاح بهم. ولنرجع إلى ما نحن بصدده، قال بعضهم: إذا كانت علوم العربية دوحة فالإنشاء ثمرها، فهو قطب مَدارها ومِعصم سِوارها وواسطة عِقدها ونظامها. وأول مَن بسط من العرب باع البلاغة في الإنشاء عبدالحميد كاتب آخر ملوك بني أمية في الشرق، حتى ضُرب به المثل في الكتابة، قال البحتري يمدح ابن الزيات الوزير:

قد تفنّنتَ في الكتابة حتّى ... عطَّل الناس فنّ عبدالحميد

ومن غرر كلام عبدالحميد: «القلم شجرةٌ ثمرها الألفاظ، والفكر بحرٌ لؤلؤه الحكمة». وهذا العلم يحتاج صاحبه إلى معرفة القرآن الشريف

---

(1) أبجد العلوم (2/ 100 ـ 101)، كشاف اصطلاحات الفنون (4/ 167 ـ 168)، كشف الظنون (1/ 181).

والحديث واللغة والنحو والمعاني والبيان والبديع وأمثال العرب وأيامهم، وكذا تواقيع الخلفاء والوزراء وتراكيب الكتاب ومقاصدهم في فنون التهاني والتعازي والمغازي والفتوحات ونحو ذلك، والحاصل أن هذا العلم من أجلِّ العلوم فإنه يرفع صاحبه إلى مراتب الملوك ويكون مكروماً به حيث كان.

● **وأما المحاضرات**[1]: فهو علمٌ تحصل به المَلَكة على إيراد كلام الغير بما يناسب المقام، وهذا العلم من العلوم المعتبرة جداً فقد قيل: خير العلم ما حضرتَ به ولا خيرَ في علم لا يعبُر بك الوادي ولا يعمر بك النادي، ومَن لا يتحلّى في مجالس اللّهو إلا بمعرفة اللغة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة وبهيمة مهملة. وقد وصف بعضهم المحاضرات بقوله:

الجدُ والهَزلُ في توشيح لحمتها والنُبلُ والسُخفُ والأشجانُ والطربُ

● **وأما اللغة**[2]: وهي الثانية عشر من أقسام الأدب المذكورة في البيتين المتقدِّمين فهي أصواتٌ يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم، والأَولى أن تُحدَّ هنا بأنها علمٌ يُبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة. قال بعض الحكماء: اللغة أركان الأدب، والشعر ديوان العرب، ولولا اللغة ذهبت الآداب، ولولا الشعر بطَلت الأحساب. وذهب بعضهم إلى أنها فرضُ عين لتوقف العينيات عليها. قال المُناوي: «من منافع اللغة: التوسع في المخاطبات والتمكن من إنشاء الخطب والرسائل والنظم والنثر، ومن عجائبها: التصرف في تسمية الشيء الواحد بأسماء مختلفة لاختلاف الأحوال كتسمية الطفل من بني آدم ولداً، ومن الخيل فلواً، ومن الإبل فصيلاً، ومن البقر عجلاً، ومن الغنم سخلاً وعناقاً، ومن الغزال خشفاً، ومن الكلب جرواً، ومن السبع شبلاً وهلُمَّ جرّا.

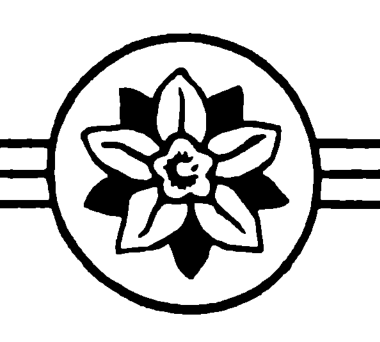
---

(1) أبجد العلوم (2/ 394 ـ 396)، كشف الظنون (2/ 1609).
(2) أبجد العلوم (2/ 387 ـ 392)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 20 ـ 21)، كشف الظنون (2/ 1556 ـ 1557).

وكتسمية ساعات النهار بأسماء مختلفة وهي: الذرور للساعة الأولى من طلوع الشمس، ثم البزوغ ثم الضحى، ثم الغزالة، ثم الهاجرة، ثم الزوال، ثم الدلوك، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم الصبوب، ثم الحدور، ثم الغروب، وهي آخر ساعات النهار، ولهذه الساعات أسماء أخرى أيضاً.

هذا ما سمح به القلم من الجري في ميدان هذه العلوم الجليلة، والمقصود بذلك أن تكون هذه الرسالة سهلةَ التناول على إخواننا الطلبة، والله الموفق.





الفصل الثاني

في علوم الأديان

اعلم أن الدين عند الله الإسلام، وأركانه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**بُني الإسلام على خمس: شهادةُ أن لا إلٰه إلا الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ البيت مَن استطاع إليه سبيلا**»[1].

- **فيجب** على كل شخص أن يعتقد أن الله موجودٌ ومنزَّهٌ عن كل النقائص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وصفات الله تعالى منقسمةٌ إلى أربعة أقسام[2]:

---

(1) أخرجه البخاري (8) ومسلم (16).

(2) سيقرر المؤلف هنا عقيدة الأسماء والصفات على مذهب الأشاعرة المخالف لمذهب السلف، ولا غرابة في ذلك فهو ابن بيئته التي خيمت عليها آراء الأشاعرة منذ زمان ابن تومرت مهدي الموحدين إلى اليوم. وحقيقة عقيدة السلف في الأسماء والصفات هي إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله، ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله من الأسماء والصفات من غير تحريفٍ ولا تعطيل ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل، أما طريقة الأشاعرة فإنهم أثبتوا لله الأسماء وبعض الصفات ونفوا حقائق أكثرها وردوا ما يمكنهم رده من النصوص وحرفوا ما لا يمكنهم رده وسموا ذلك «تأويلاً»، فأثبتوا لله سبع صفات: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر على خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعض هذه الصفات، ونفوا بقية الصفات الخبرية والفعلية التي وردت في الكتاب والسنّة (راجع التدمرية وغيرها من كتب الشيخ تقي الدين رحمه الله). وممن عُرف بتمسكه بعقيدة السلف في الأسماء والصفات من=

القسم الأول: النفسية، وهو الوجود الواجب، وهذا معنى قولهم: «موجودٌ لا لعِلة».

والقسم الثاني: سلبية، وهو خمس: القِدَم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه ـ أي: لا يحتاج إلى غيره ـ والوحدانية في ذاته وفي أفعاله أي: الخير والشر كله فعله ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿23﴾﴾ [الأنبياء: 23].

والقسم الثالث: صفات المعاني، وهي سبع: القدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والعلم والكلام.

والقسم الرابع: وهو الصفات المعنوية، وهي مُلازمة لصفات المعاني، وهي كونُه قادراً ومريداً وسميعاً وبصيراً وعالماً وحيًّا ومتكلّماً.

فهذه عشرون صفةً تجب لله تعالى ويستحيل عليه أضدادها العشرون أيضاً، فالجملة أربعون وما كان غيرَ الواجب والمستحيل فهو جائزٌ في حقّه تعالى فعل كل ممكن وتركه وأدلة جميع ذلك مفصلةٌ في محالِّها.

ـ **وينبغي** للمكلَّف أيضاً أن يعرف التفسير[1] لأنه متعلّقٌ بكلام الله تعالى وهو علمٌ تعرف به معاني كلام الله من الأوامر والنواهي وغيرهما، وواضعه الإمام مالك بالإسناد على طريقة الموطأ، وحكمُه الوجوب الكفائي. والتأويل والتفسير بمعنى واحد عند أبي عبيدة وطائفة، وأنكر ذلك آخرون حتى بالغ ابن حبيب فقال: نبغَ في زماننا مفسرون لو سُئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل لما اهتدوا إليه.

= علماء الجزائر العثمانية الشيخ عبدالقادر الراشدي الجزائري من أهل القرن 11هـ، وقد ذكر الحفناوي قصته مع أهل بلده ورميَهم له بالتجسيم وظهورَه عليهم بعلمه (تعريف الخلف: 2/ 228 ـ 230).

(1) أبجد العلوم (2/ 146 ـ 172)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 33 ـ 37)، كشف الظنون (1/ 427).

- **وينبغي** له أيضاً أن يعرف الحديث[1] درايةً وروايةً، فينقل ما أضيف إليه ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو يعرف حال الراوي والمروي من حيث القَبول والردّ، وواضعه ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبدالعزيز بعد موت النبيّ ﷺ بمائة سنة[2]، ولولاه لضاع الحديث ولذلك دخل فيه الضعيف والشاذ، ولو كُتب في زمنه عليه الصلاة والسلام لكان مضبوطاً مثل القرآن، وحكمه الوجوب الكفائي.

- **وينبغي** له أيضاً أن يعرف علم الفرائض[3]، وهو علمٌ بأصولٍ يُعرف بها قِسمة التّركات ومُستحقّوها وأنصباؤهم منها. وأسباب الميراث ثلاثةٌ مُجمعٌ عليها وهي: النكاح والوَلاء والنّسَب، والرابع: مختلَفٌ فيه وهو بيتُ المال. ولا يرث إلا بشروط، ويَمنع الشخص من الميراث الرّق والقتل واختلاف الدِّين، وهذا العلم ضروريٌّ للإنسان.

- **وينبغي** له أيضاً أن يعرف علم أصول الفقه[4]، وهو علمٌ بأصولٍ يعرف بها أدلة الفقه الإجمالية، وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفيديها، وواضعه الإمام الشافعي، وحكمه الوجوب الكفائي، وعدد الأدلة التي استدل بها مجموع الأئمة الأربعة سبعة: الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس عند جميعهم، والاستحسان عند أبي حنيفة واستصحاب الأصل عند الشافعي، والمصالح العامة عند الإمام مالك، وهذا العلم من أشرف العلوم، وناهيك أن علماءه حكام العلماء وما أجدرهم بهذا البيت:

ونُنكر إن شئنا على الناس قولَهم ... ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ

---

(1) أبجد العلوم (2/ 185 ـ 199)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 37 ـ 38)، كشف الظنون (1/ 635).

(2) يقصد علم رواية الحديث.

(3) أبجد العلوم (2/ 328)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 43 ـ 45)، كشف الظنون (1244/2).

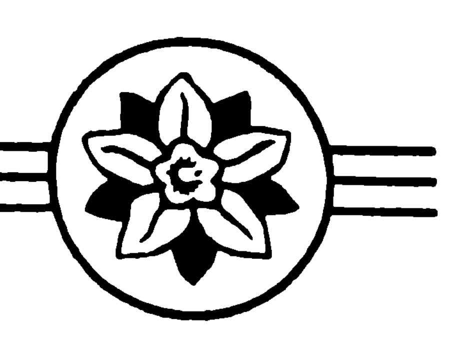
(4) أبجد العلوم (2/ 62 ـ 69)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 38 ـ 41)، كشف الظنون (1/ 110 ـ 111).

- **ويجب** على المكلَّف أن يَعرف من الفقه[1] ما تقوم به عباداته ومعاملاته، وهو علمٌ بأحكام شرعية عملية مكتسبة من أدلتها التفصيلية، وواضع هذا العلم النبيُّ ﷺ، وأول مَن صنّف فيه أبو حنيفة وموضوعه فعلُ المكلَّف من حيث أنه معروضٌ على الأحكام الخمسة التي هي: الوجوب والندب والإباحة والحظر والكراهة. وبهذا العلم يَعرف الإنسان حلال طرق الاكتساب وحرامَها، وطرق الاكتساب ستةٌ وهي: البيع والرِّبا والسَّلم والإجارة والقَراض والشَّرِكة.



---

(1) أبجد العلوم (2/ 331 ـ 342)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 41 ـ 43)، كشف الظنون (2/ 1280 ـ 1283).



الفصل الثالث

في علوم الأبدان

اعلم أن الإنسان عُرضةٌ للآفات ومركزٌ للأمراض فأقلُّ شيءٍ يغيّر مزاجه ويلجئه إلى علاجه. فيجب على كل شخص أن يعرف من الطب ما يحفظ به صحته ويدفع به مضرته، وعرَّف بعضهم الطب بقوله: هو معرفة الداء وتلقيه بالدواء، وقيل: هو استدامة الصحة ومرمة السقم. وهو ينقسم إلى طب بشري وغيره، وهذا ينقسم إلى بيطرة وهي معالجة أمراض الخيل، وزرْدَقة وهي معالجة أمراض الطيور.

● **وعلم الطب**[1]: مأخوذٌ في البداءة عن الاستقراء والتجارب، وأول مَن صنّف فيه بقراط اليوناني، قيل: إن الطب كان معدوماً فأوجده بقراط، وكان ميتاً فأحياه جالينوس، وكان متفرقاً فجمعه الرازي، وكان ناقصاً فكمّله ابن سينا. والظاهر أن هذا باعتبار الأزمنة السالفة، وأما الآن فقد بلغ علم الطب إلى درجة فوق ما كان يعهده ابن سينا، قال بعض المسيحيين: «لما كانت العرب مجتهدةً بغاية الجد والاجتهاد في دراسة هذا العلم وغيره كالفنون الهندسية والفلكية والكيماوية والنباتات والمنطق والطبيعيات وفي التقطير وصناعة التخمير، كانت الإفرنج غارقين في بحور الجهالة وسوء

(1) أبجد العلوم (2/ 293 ـ 299)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 59)، كشف الظنون (1092/2 ـ 1093).

الحالة، فلما انتشبت الحروب الصليبية بينهم وبين المسلمين ومكثت مدة طويلة بحيث هلك فيها من المسيحيين أكثر من مليونين، وكانت في تلك المدة المواصلة بين الأقطار الشامية وبين أوروبا عموماً، فاكتسبت الإفرنج من المسلمين التحسينات، وأخذوا أسباب التمدُّن الذي كان عليه العرب في ذلك الوقت، ولا زالوا يزدادون شيئاً فشيئاً إلى أن بلغوا إلى هذه الغاية التي أتقنوا فيها الفنون والصنائع، وعلى الخصوص فن الطب». قيل: ولو لم يقم شاهد على اتقانهم الطب إلا كثرتهم في هذه الأيام الأخيرة لكفى، فإن من الطب مَن يعتني بتربية الأطفال في حالة الصغر ليسلموا من العوارض، ويشبُّوا سليمي الأعضاء، حِسان الصور.

وهذا العلم مقدّمٌ على سائر العلوم حتّى على علوم الدِّين لتوقف القيام بها عليه كما قال الشافعي. وفي هذا العصر لا يُسمّى الإنسان طبيباً ما لم يتقن عدة علوم منها: الطبيعة والتاريخ الطبيعي ـ أي: علم المواليد الثلاثة ـ وعلم الكيمياء بأنواعه، وعلم التشريح، وعلم الأمراض بأنواعها سواءً كانت باطنية أو جلدية أو رمادية، وعلم قانون الصحة.

● **أما علم الطبيعة**[1]: فهو علمٌ يُبحث فيه عن الخواص الجسمية التي تخص الأجسام من حيث كونُها كتلاً كالأبعاد الثلاثة أي: الطول والعرض والعمق، وكالتجزّي والتشكُّل وعدم التداخل وكون الجسم ذا مسام وقبوله للضغط والمطّ والحركة والسكون وغير ذلك، ويُبحث فيه أيضاً عن الألوان والروائح وسريان الصوت في الهواء وغيره، وعن أصناف الموازين المختلفة، وعن القِباب الطيارة وعن كيفية العوم وجذب الماء من الآبار وغيرها، ويبحث فيه أيضاً عن المغناطيسية والكهربائية وسيرها في أسلاك الإشارة، وعن الكائنات الجوية مثل: الضباب والسحاب والندى والطَلّ[2] والصّقيع والمطر والثلج والبرَد، وعن الفجر والشفَق وقوس قُزَح والسَّراب

---

(1) أبجد العلوم (2/ 331 ـ 342)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 41 ـ 43)، كشف الظنون (2/ 1280 ـ 1283).

(2) أي: المطر.

والهالات، وعن الرعد والصواعق والشُّهُب والحجارة الساقطة من الجو، وعن الرياح المنظمة الدورية والعواصف والزوابع وغيرها.

• **وأما علم التاريخ الطبيعي**: فهو علمٌ يُبحث فيه عن الحيوانات والنباتات وعن الطبقات الأرضية وكيفية تكوُّنها، وما يوجد فيها من المعادن.

• **أما علم الحيوانات**[1]: فيبحثون فيه أولاً عن تشريحها وهيكلها العظمي وجهازها الهضمي، وعن كيفية دورة دمها وكيفية إحساسها، ثم يقسمونها إلى ذوات أرجل وطيور وزواحف وأسماك وإلى أنواع وفصائل وغير ذلك، فمنها ما يُستعمل غذاء، ومنها ما يستعمل دواء، ومنها ما فيه مادة سُمّية.

• **وأما علم النباتات**[2]: فيبحث فيه عن التشريح النباتي وعن كيفية تغذية النباتات، وتلقيحها وتطعيمها، والفرق بين الذكر والأنثى ثم يقسمون النباتات إلى أقسام وفصائل ورُتب، وكيفية استخراج الأدوية منها، فإن أكثر الأدوية الموجودة في بيت الدواء[3] مأخوذة من النباتات.

• **وأما علم الطبقات الأرضية وما يوجد فيها من المعادن**: فهو علمٌ نافعٌ جداً في فن الطب الذي يحتاج إلى مركبات معدنية، وغير معدنية.

• **وأما علم الكيمياء**[4]: فهو علمٌ يعرف به كيفية تحليل الأجسام وتركيبها لا عمل الذهب والفضة كما يزعمه بعض مَن لا علم له[5]، وهذا

---

(1) أبجد العلوم (2/ 219 ـ 220)، كشاف الظنون (1/ 695 ـ 696).
(2) أبجد العلوم (2/ 454).
(3) لعله هو الصيدلية اليوم.
(4) أبجد العلوم (2/ 376 ـ 386)، كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 60)، كشاف الظنون (1526/2 ـ 1533).
(5) يقصد مَن عرّف هذا العلم من القدامى ومَن مشى على تعريفهم من أهل العصر دون نظر وتحقيق، وإلى ذلك أشار ابن خلدون في المقدمة (ص: 504) فقال: «وربما يُعزى الكلام فيها إلى مَن ليس من أهلها...».

العلم هو الأساس المتين لكثيرٍ من العلوم والصنائع ولا سيما الأطباء فهم أحوج الناس إليه وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

كيمياء معدنية وغير معدنية وكيمياء عضوية، أي: حيوانية ونباتية.

● **وأما التشريح**[1]: وهو أصعب علوم الطب وعليه مدارها، فهو علمٌ تُعرف به أجزاء الإنسان الذي يتركب منه بالتفصيل بغاية الدقة، وبه تُعرف أيضاً منافع الأعضاء والتشريح الخاص وهو المعروف بعلم الجراحة وعلم الأربطة والعمليات الجراحية.

● **وأما علم الأمراض الباطنية**[2]: فهو علمٌ يُبحث فيه عن جميع الأمراض الباطنية ومراكزها وعلاماتها وأسبابها وبه يُعرف مزاج المريض وما يجب له من العلاج.

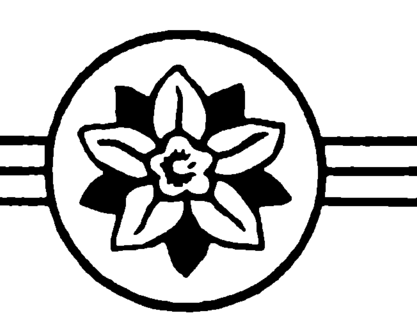
● **أما علم قانون الصحة**: فيُبحث فيه عن وسائل المحافظة على صحة الأجساد البشرية وغير ذلك مما تتكلّف كتب هذا الفن بإيضاحه.



---

(1) أبجد العلوم (2/ 127 ـ 128)، كشف الظنون (1/ 408 ـ 409).

(2) لعلّه المعروف اليوم بعلم النفس.



الفصل الرابع

في المعاش[1]

اِعلم أن الله تعالى شرَّف الحيوان على النباتات بأشياء، منها: الإدراك والحِسّ والحركة الإرادية والتنقّل من محلٍّ إلى آخر على حسب ما تقتضيه الإرادة. وشرّف الإنسان على سائر الحيوانات بأشياء، منها: العقل والنطق زيادةً على ما تقدم، فسبحان مَن خلقه في أحسن تقويم حتى تسخّر له الفيل وهو أكبر، وهابه السبع وهو أشجع. ثم إن الإنسان إن كان مَن كان لا يخرج عن كونه حيواناً، وكل حيوان لا بدّ له أن يتعايش. وعِيشة الحيوان ليست كعيشة النبات تُمطر من السماء وتُبل على وجه الأرض فتمر عليه أو تعتلق بالهواء فيصيبُه شيءٌ منها فيجتزي به مَن لا بد لتعيشه من أعمال مخصوصة أقربها الطبخ والتناول. وزد على ذلك احتياجه للكسوة والبيوت التي تقيه الحر والبرد. ولله در المأمون العباسي حيث قال: «الناس أربعة: ذو صناعة، وذو زراعة، وذو تجارة، وذو إمارة، وما سِوَى ذلك فإنهم يُغلون الأسعار، ويُكدِّرون المياه».

● **أما الصانع**: فكل الناس يحتاجون إليه، وقيل: الصنعة أمانٌ من الفقر. ولو لم تكن الصنائع شريفةً لما كان إدريس عليه السلام خياطاً، وكذلك هود ولقمان، قال الشاعر:

لولا الحياكةُ والذين يلونَها بدَتِ الفروجُ ولاحتِ الأدبارُ

(1) عقد ابن خلدون للكلام على المعاش وأنواع الصنائع فصولاً من مقدمته، راجع ص (380 ـ وما بعدها).

ولما كان نوحٌ نجاراً وداودُ يصطنع الدُّروع. وانظر إلى ما ذكره الله في كتابه في سبيل المِنّة فقال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: 80]، قال الحسن البصري: «لا يكسد رئيس صناعةٍ إلا في شرّ زمان ومملكة أرذل سلطان». ولقد منَّ الله سبحانه علينا بهذا العصر الذي لم يسبق له نظير بلغت فيه الصنائع غاياتها، والحِرَف نهاياتها، فسهَّلت الأسفار في البراري والبحار بواسطة الاتّساع في علم جرّ الأثقال على حسب فروعه، واتسعت دائرة المعارف في علم النقاشة الذي من فروعه فن الطباعة فلم يبق للإنسان الخليّ من الصّنعة عذرٌ في هذه الأوقات التي انتشرت فيها الصنائع وراج سوقها.

● **وأما الزراعة**: فهي علمٌ يُبحث فيه عن الفلاحة ومعرفة أحوال الزرع وأنواعه وكيفية زرع الأشجار وحفظها من البرد وتطعيمها بفروع أشجار مختلفة، وماذا ينبُت منها في البلاد الحارة والباردة، والأقطار المعتدلة، وتطبيع النباتات الغريبة المنقولة من إقليم إلى آخر، وكيفية تقليم الأشجار غير المثمرة لأجل أن تثمر، وتدبير الأبنية والتعمير في الحقول على وجه لائق بها، ومعرفة ما يختص بذلك من آلات الحرث النافعة، والمدبرة للمصاريف.

ومن فروع هذا العلم تدبير المياه وتصريفُها بسهولة لسقي الأراضي، وذلك كصناعة القناطر والجداول والجسور والأرصفة والنواعير والحياض وغير ذلك مما يُدرس في كتب هذا الفن الشريف.

● **أما التجارة**: فهي من أحسن طرق المعاش وطرق الاكتساب محصورةً كما تقدم في البيع والرّبا والسلم والإجارة والقرض والشركة، ولا يخفى أن هذه الطرق منها ما أحلَّه الله ومنها ما حرَّمه فيجب على مَن أراد أن يتّجر أن يتفقّه حتى يعرف الحلال من الحرام، قيل: مَن اتّجر من غير فقه وقع فيما لا يرضيه سواء حاذر أو خاطر. وينبغي للتاجر أيضاً أن يعرف قوانين التجارة وما يلزم لها من التوكيل والحوالة والكفالة والشُّفعة وغير ذلك، وقد أوجبها الله تعالى على عباده بقوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾

[الجمعة: 10]، قال بعضهم: «عليكم بالتكسب فأول ما يبدأ الفقر بإفساد دين الإنسان». وما أحسن قول بعض الحكماء يوصي شخصاً: «احذر كلَّ الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في التوكل ويورثك الهوينا بإحالتك على القدر، فإن الله أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحِيَل والتسليم للقضاء بعد الأعذار فقال تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، وقال عمر رضي الله عنه لرجل: ما عيشتك؟ قال: رزق الله. فقال: لكل رزقٍ سبب، فما سبب رزقك؟

وقال أبو تمام:

وصدَقتَ إن الرّزق يطلبُ أهلَه لكن بسيرةِ مُتعَبِ مكدودِ

ومما قيل: الاشتغال من شأن الأحياء، والفراغ من شأن الأموات، فإذا قدرت أن تكون حياً فافعل.

والحاصل أن الفراغ للرجل عقلة، وللمرأة غلمة، فينبغي للإنسان أن لا يترك الاكتساب على أية حالةٍ كان ولا يهاب الغُربة في طلب المعيشة.

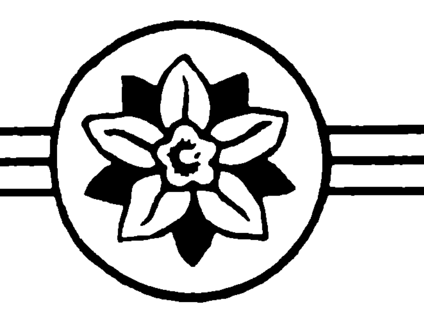
قال الشاعر:

الفقرُ في أوطانه غربةٌ والمالُ في الغربة أوطانُ

ومَن عَرف أن الحركة لقاحُ الجسد العقيم وجب أن يحتال في معاشه، ويتحرك لانتعاشه.

● **وأما الإمارة**: فالمراد بها هٰهنا الاستخدام في أي وظيفةٍ كانت من الوظائف الدولية وهي متنوعة، منها: سيفية، ومنها: قلمية، ومنها: علمية، وإنما قلنا: «الاستخدام» لأن الأمير خادم للدولة والمِلَّة والأمة والوطن وإن كان مخدوماً، ولولا أن الإمارة خدمةٌ وقيد ولها أثقالٌ وذُلٌّ بعد العزل لقيل: هي أشرف معيشةٍ للإنسان التي يمتاز بها على سائر الأقران.

تم ما أردناه من هذه الفصول



الخاتمة

وهي تحتوي على آداب وأمثال وحِكم وبعض فصولٍ وأبيات مما تمسُّ الحاجة إليه

رُوِي في الحديث: «**ما اكتسبَ ابنُ آدم أفضلَ من عقلٍ يهديه إلى هُدى أو يرُدُّه عن رَدَى**»(1). وقيل: «الحُمق يسلب السلامة ويورث الندامة، والعقل وزير رشيد وظهير سعيد، مَن أطاعه أنجاه ومَن عصاه أرداه». وقيل: «لو صُوِّر العقل لأضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار». وقيل: «العاقل مَن عامل الإنسان على خليقته، وجارى الزمان على طريقته». قال حكيم لابنه: «كن بحيلتك أوثق منك بشدّتك فالحرب حربٌ للمتهوّر، وغنيمةٌ للمتحذّر». وقيل: «مَن نهض به أدبُه لم يقعد به حسبه». وقيل: «مَن لم يستفد بالأدب مالاً استفاد به جمالاً». وذمّ المأمون العباسي الإكثار من النحو فقال: «علمٌ يُغنيك أدناه عن أقصاه». وقال أبو حنيفة: «المكثر من النحو كالمكثر من غرس شجرٍ لا يُثمر». قال الأصمعي مفتخراً بحفظه: «أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة، فقال رجل: منها البيت والبيتان فقال: ومنها المائة والمائتان».

(1) عزاه بهذا اللفظ في الكنز (7037) للبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن عمر بلفظ: «ما اكتسب مكتسب أفضل...»، وفي إسناده عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، راجع فيض القدير للمناوي (5/ 425).

وهذه جملة من أمثال العرب القديمة:

يُقال: أكرمُ من حاتم، وأبخل من نادر، وأبلدُ من باقل، وأحمق من هبنقة، وأجرى من السيل في الليل، وأحذر من ذئب، وأخلف من عُرْقوب، وأسجد من هدهد، وأشأم من البَسوس، وأشغل من ذات النحيين، وأشهر من نارٍ على عَلَم، وأطمع من أشعب، وأعزّ من كليب وائل ومن جبهة الأسد، وأفرغ من حجّام ساباط، وأفوت من أمسِ الدّابر.

ويقال: إذا عزَّ أخوك فهُن، وأرسلته لي خاطباً فتزوج، وأعطى القوسَ باريها، وإنّ الحديد بالحديد يُفلح، وإن البلاء موكلٌ بالمنطق، وإن البعوضة تُدمي مُقلَة الأسد، وأنت في واد ونحن في واد، وأنفٌ في السماء واسْتٌ في الماء، وبئسَ الرّدف لا بعد نعم، وحيث سَقَط لَقَط، ورجع بخُفَّي حُنَين، وحدِّث عن البحر ولا حرج، وسبَق السيف العذَل، وسكت ألفاً ونطق خُلفاً، وسمْنُكم هريق في أديمكم، وشب شوبالك روبته، وظمآنٌ وفي البحر فمُه، وعند الصباح يحمَد القوم السُّرى، وعند الرّهان تُعرف السوابق، وقد استسمَنت ذا وَرم، وكلُّ الصيد في جوف الفَرا، ولأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه، وما أشبه الليلةَ بالبارحة، ومَن أشبه أبَهُ فما ظلم، ومَن صنّف فقد استُهدف، ومع الخواطئ سهمٌ صائب، ونام عصام ساعةَ الرحيل، ونفخ في غير ضَرَم، وهو كالكاتب على صفحات الماء، وهما كفرسَي رِهان.

وهذه نُبذةٌ من الأمثال العامية الحديثة:

إذا وقعت يا فصيح لا تصيح، وتراب العمل ولا زعفران البطالة، ثقيلٌ واسمه صخر بن جبل، ركّبتك ورائي حطِّيت يدك في الخَرج، رزق الكلاب على المجانين، سل المجرّب ولا تنس الطبيب، ضرب الحبيب كأكل الزبيب، ضربتين في الرأس تعمي، طُفَيلي وجالس في الصدر، ولولاك يا كُمّي ما أكلت يا فُمّي، مَن قدَّم النحس تعب في تأخيره، نصف البلاء ولا البلاء كلُّه، لا تشكرن فتّى حتى تجرّبه، لا تفرح لمن يروح حتى تنظر مَن يجيء، يا ليتنا انكسرنا ولا بك انتصرنا، لا يغرَّ السحاب نبيح الكلاب.

وهذه أبياتٌ يتيمة انتخبتها للتمثل بها:

لـولا الـعـقـولُ لـكـان أدنـى ضـيـغـمٍ   أدنـى إلـى شـرفٍ مـن الإنـسـانِ

غيره:

ولـيـس يـصـحُّ فـي الأذهـان شـيءٌ   إذا احـتـاج الـنـهـار إلـى دلـيـلِ

غيره:

لـيـس يـدري مـن الـجـهـالـة مـاذا   دوّر الـبـعـر فـي بـطـون الـجـمـال

غيره:

ولـسـت مُـقـارعـاً جـيـشـاً ولـكـن   بـرأيـي يـسـتـضـيء ذَوُو الـقـراعِ

غيره:

صـرت كـأنّـي ذبـالـةٌ نُـصـبَـت   تـضـيء لـلـنـاس وهـي تـحـتـرقُ

غيره:

أصـبـحـت تـنـفـخ فـي رمـادك   ضـيّـعـت حـضـك مـن وقـود الـنـارِ

غيره:

وكـنـت كـنـاشـبٍ فـي الـوحـل يـنـوي   نـهـوضـاً وهـو يـزداد ارتـطـامـا

غيره:

ولا عـلـم لـي بـالـغـيـب إلا طـلـيـعـة   من الحزم لا يخفى عليها المغيب

غيره:

خليلي ليس الرأي في صدر واحدٍ   أشـيـرا عـلـيَّ الـيـوم مـا تـريـانِ

غيره:

ما ضرّ مَن حاز التأدُّب والنُّهى ... ألاّ يكونَ من آل عبد منافِ

غيره:

وقَرابة الآداب تقتصر دونها ... عند الأديب قَرابةُ الأرحامِ

غيره:

وعلمت حتى لا أسائل واحداً ... عن علم واحدة لكي أزدادها

غيره:

إذا جاء موسى وألقى العصى ... فقد بطَل السحرُ والساحرُ

غيره:

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... ضلَلتَ وأنت تقصد إلى الباب تهتدي

غيره:

إن العدوَّ وإن أبدى مسالمةً ... إذا رأى منك يوماً غرةً وثبا

غيره:

إذا كان ربُّ البيت بالطبل ضارباً ... فلا تلُمِ الصبيان فيه على الرقصِ

غيره:

إذا محاسني اللاّتي أتيت بها ... عادت ذنوباً فقل لي كيف أعتذرُ

غيره:

العلم ينهض بالخسيس إلى العلى ... والجهل ينهض بالفتى المنسوبِ

غيره:

حيّاك مَن لم تكن ترجو تحيتَه لولا الدراهم ما حياك إنسانُ

غيره:

رُبَّ مهزولٍ سمينٌ عرضُه وسمينٍ مهزولُ الحسب

غيره:

ستذكُرني إذا جرّبت غيري وتعلم أنني نعمَ الصديق

غيره:

ظهرت خيانات الثّقات وغيرُهم حتى اتّهمنا رؤية الأبصارِ

غيره:

عتبت على عمرٍو فلمّا تركته وجرّبت أقواماً بكَيتُ على عمرو

غيره:

قد يُدرِكَ المتأنّي بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزللُ

غيره:

كنت من كُربتي أحنُّ إليهم فهُمو كربتي فأين القرار

غيره:

مَن يحمد الناس يحمدوه والناس مَن عابَهم يُعابُ

غيره:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامَه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

غيره:

ولا يغرُرك طول الحِلم منّي فما أبداً تصادفني حليما

غيره:

ومَن يكن الغراب له دليلاً يمرّ به على جِيَف الكلابِ

غيره:

ولربّما مَنع الكريم وما به بخلٌ ولكن سوء حظّ الطالبِ

غيره:

لا تنظرن إلى الجهالة والحِجا وانظر إلى الإقبال والإدبارِ

غيره:

يُهَمهِمُ للشعير إذا رآه ويعبس أن رأى وجه اللجامِ

غيره:

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوِزه إلى ما تستطيعُ

غيره:

إذا أنت لم تُعلِم طبيبك كلّ ما يسوؤك أبعدت الدواء عن السقمِ

غيره:

إذا ما قضيت الدَّين بالدَّين لم يكن قضاءٌ ولكن ذاك غُرمٌ على غرمِ

غيره:

تكاثرت الظِّباء على خراشٍ فلم يدرِ خراشٌ ما يصيدُ

غيره :

خاطر بنفسك كي تصيب معيشةً إن الجلوس مع العيال قبيحُ

غيره :

سوء حظي أنالني منك هجرا فعلى الحظّ لا عليك العتابُ

غيره :

شفيعي إليك الله لا ربَّ غيرُه وليس إلى ردّ الشفيعِ سبيلُ

غيره :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعُه وليس عليه أن يساعده الدهرُ

غيره :

فما أكثر الأصحاب حين تعدُّهم ولكنهم في النائبات قليلُ

غيره :

قد يدرك الشرفَ الفتى ورداؤُه خَلِقٌ وجيبُ قميصه مرقوعُ

غيره :

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكنّ أخلاقَ الرجال تضيقُ

غيره :

مَن لم يعُدنا إذا مرضنا إن مات لم نشهد الجنازة

غيره :

هم يحسدوني على موتي فوا عجبي حتى على الموت لا أخلو من الحسدِ

غيره:

وإذا أتتك مذمَّتي من ناقصٍ فهي شهادةٌ لي بأنّي كاملُ

غيره:

ومَن يك مثلي ذا عيالٍ ومقترٍ من الزاد يطرح نفسه كل مطرحِ

غيره:

ولا يأت يسقينا سوى الماء وحده وهذا جزاء مَن بات ضيفَ الضفادعِ

غيره:

لا يسكن المرء في أرضٍ يُذلُّ بها إلاّ من العجز أو من قِلّة الحيلِ

غيره:

يريك البشاشة عند اللّقا ويبريك في السرِّ بَري القلم

غيره:

إن كنت أنسيتها فلا عجبَ قد عاهد اللهَ آدمُ فنسي

وفيما أوردناه من هذه الأمثال المنظومة كفايةٌ لإخواننا، وإنما المدار على حفظها. ومَن أراد أن يطلع على أكثر من ذلك فعليه بمطالعة دواوين فحول الشعراء كامرئ القيس بن حجر الكندي الذي ورد في الحديث أنه حامل لوائهم[1] وديوانه مشهور، وكذلك ديوان زهير بن أبي سُلمى ـ بضمِّ السين ـ المزني صاحب المعلَّقات التي يقول فيها ومَن ومن. قال بعضهم: إن كلامه فيها أشبه بكلام النبوة، وكذلك ديوان ابنه كعب رضي الله عنه

(1) هو حديث «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»، أخرجه أحمد عن أبي هريرة، وفي إسناده أبو الجهم عن الزهري قال أبو زرعة: «واهي الحديث» اهـ فيض القدير (2/ 186).

صاحب «بانت سعاد» التي مدح بها النبيّ ﷺ، فخلع عليه ﷺ بُردته[1]، وكذلك كلام لَبيد بن أبي ربيعة رضي الله عنه، قيل: إن عائشة زوج النبيّ ﷺ كانت تحفظ من كلام لبيد اثنا عشر ألف بيت. وكذلك ديوان عنترةَ العبسي، وديوان طرَفة بن العبد، وديوان الحارث بن حِلِّزة اليشكُري، وديوان حسان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ، وكذلك دواوين الفرزدق وجرير والأخطل النصراني، ودواوين أبي تمام والبُحتري والمتنبي المشهور. قال ابن خِلِّكان: «أخبرني بعض المشايخ قال: شاهدت لديوان المتنبي أكثر من أربعين شرحاً، وكذلك دواوين أبي العلاء المعرّي كسقط الزند ولزوم ما لا يلزم وغيرهما، وكذلك ديوان أشعر الطالبيِّين الشريف الرِّضى، وديوان ابن المعتز الذي وضع علم البديع وإبراهيم الصابي النصراني الأديب المشهور وأبي نواس، وديك الجنّ وما أشبههم من شعراء العراق المُجيدين.

وكذلك ينبغي لإخواننا أن يطّلعوا على خطب المتقدمين وإنشاءاتهم ومقاماتهم ومراسلاتهم، كالخطب العربية والمقامات الحريرية والهمدانية والزمخشرية، وكالمراسلات الخوارزمية، وترسُّلات القاضي الفاضل، ومَن أراد أن يعاني الإنشاء فعليه بأدب الكاتب لابن قتيبة، والمثل السائر لابن الأثير فإن فيهما كفاية.

وهذه بعضُ فصول أردنا إيرادها للفائدة:

إن قلت: (صدر كتاب لعالم) «جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة وسبباً إلى النجاة وزُلفةً عند الله». اهـ. (آخر): أدام الله بك الأفضال وحقّق فيك الآمال.

وقال آخر معتذراً: «يسّر الله لنا من عفوك ما يَسع تقصيرنا، ومن حِلمك ما يرد سخطك عنا». اهـ.

وكتب حكيمٌ إلى حكيم: «يا أخي، إن أيام العُمر أقلُّ من أن تتحمّل الهَجر والسلام». اهـ.

(1) والقصة تُضعّف.

وللعنابي من كتاب «أما بعد»: «فإن قريبك مَن قَرُب منك خيره، وابن عمّك مَن عمَّك نفعه، وعشيرتك مَن أحسن عِشرتك، وأهدى الناس إلى مودتك مَن أهدى بره إليك». اهـ.

فصلٌ لابن المكرم في المدح: «إن من النعمة على المثني عليك أن لا يخاف الإفراط، ولا يأمن التقصير، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد فضلك تجاوزها، ومن سعادة جَدِّك أن الداعي لا يعدم كثرة المتابعين له والمؤمنين معه».

وله: «زاد معروفك عندي عِظما أنه عندك مستور حقير، وعند الناس مشهور كبير». وأخذه بعض الشعراء فقال:

زاد معروفك عندي عِظما ... أنه عندك مستورٌ حقير
تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهورٌ كبير

يقول مؤلف هذه الرسالة وملتقط هذه العجالة: إنه لما منَّ الله عليَّ باجتماعي مع نادرة الأدباء وفاكهة النُجباء صاحب البراعة واليراعة، والمبرَّز في حلَبة هذه الصناعة أخي وصديقي الشيخ إبراهيم سراج المدني أصلاً ومنشأً، المدرِّس في الرَّوضة المطهَّرة حفظه الله من طوارق الحدَثان، ومتَّعه في الدارين هو وجميع الخِلّان، لقيت من آدابه روضاً بهيّاً، ومن أخلاقه مِسكاً ذكيّاً، وسمعت منه ما يَبهر العقول ويزيِّن المعقول والمنقول، فأحببت أن أختم هذه الرسالة ببعضٍ من غرر كلامه ودرر نظامه التي استمليتها منه ورويتها عنه، فمن ذلك:

قوله ـ حرسه الله ـ معاتباً بعض أحبابه: «أما بعد، فإن الشوق شوق ما لم يشب عمره عن الطَّوق، ومتى ما شبَّ زاد وفتت الأكباد، ومن أسبابه المحذورة وموجباته المشهورة هجرُ الحبيب، وطول المغِيب، كانت آمالي في جنابكم العالي واثقةً بالوفاء ومتلذذةً بالصفاء، فكدرتم شرابها وغلطتم حسابها، فإن لم تجدِّدوا الوصل استدام الفصل، والسلام».

ومن جيِّد نظمه هذه القصيدة الفريدة التي تُعدُّ في الحقيقة من محاسن

العصر، يمدح بها صاحب الدولة والسيادة حضرة أمير مكة المكرمة الشريف عبدالله باشا، وذلك في أيام صباه:

أطرِبتَ من ذكر العقيق وخالِه ... فألحت لما لاح بارقُ خاله
أم حدَّثتك الريح عن بانِ الحِمى ... خبراً فأشجى القلبَ ذكرُ غزاله
أنا لا أذمّ العيس وهي تجدّ في ... وصل الحبائب بعد صرم حباله
وتسابق الظلمان في درٍّ وقد ... كلفت نتائجها بحب رئاله
ولرُبَّ نهرٍ مثل صفحة صارمٍ ... وافيته ليلاً على أهواله
فوردته والذئب يعوي حوله ... والوحش يكمن في شعاف جباله
والجو يبدو كالغدير عليه مِن ... زهر الخمائل ما قضى بجماله
وترى الثريّا كالبنان تشير إذ ... رأت الرقيب إلى السُّهى بزواله
والنصر حلق إذ رأى نهر ... المجرّة والسماك يرومه بنصاله
هذا وكم من ليلةٍ قد بتُّها ... نشوانَ من مرح الصّبا وظلاله
والعيش غضٌّ والحبيب موافقٌ ... والدهر محمودٌ على اغفاله

ومنها:

إن خابت الآمال فيما رمته ... منه فليس الجود من أفعاله
ما الجود إلا من مليكٍ همُّه ... سبق الذين مشَوا على منواله
من كل أروعٍ خائضٍ غمر الوغى ... يختال يوم الطعن في قسطاله
ناديه يحوي كل قرمٍ ماجدٍ ... ونداه منهلٌّ على سؤاله
يا مَن لفقد الجود أصبح صادياً ... يرتاد مفضالاً أضر بماله
أقصد كريم النفس عبدالله مَن ... قد قال حيَّ على الندى وسجاله
ملكاً أغرَّ متوجاً ذا هيبةٍ ... ملكَ النفوس بماله ورجاله
المغمدين البِيض في هام العِدى ... والمعملين السُّمر يوم قتاله
تلقاه يوم السِّلم أروع باسماً ... يعطي الهنيدة في أقل نواله
شهماً عليه من الوقار سكينةٌ ... ومن الحياء البِشر عند سؤاله

وتراه في يوم الوغى يختال مِن ... مرحٍ ولا كالليث في أغياله
ورث الإمارة عن كرامٍ قادةٍ ... سادوا فشادوا المجد بعد زواله
قومٌ إذا انتسبوا رأيت المصطفى ... فيهم وإن فخروا فهم من آله
يا مَن أتى بعد العبادلة الأُلى ... سلفوا وخامسهم لفرط كماله
مَن ذا يماثلكم وأنتم خيرُ مَن ... ركب المطيَّ ومَن مشى بنعاله
ولأنت مَن قد أظلمت من سقمه ... الدنيا وضاء الكون من إبلاله
فلئن رفعت من السقام شكايةً ... فلكم تشكّى الجوّ سقم هلاله
لو لم تكن مثل النسيم لطافةً ... ما كان حالك في السقام كحاله
أشبهت ليث الغاب في سطواته ... فعراك وعك وهو بعض خلاله
قالوا لنا مرض الأمير وما درَوا ... أن الخطوب مريضةٌ بفعاله
فاهنأ بما منح الإله من الشفا ... كرماً ونحمده على أفضاله
وليهن أهل العصر برؤك إنه ... في الدهر عافيةٌ لكل عياله
خذها من ابن بجدتها بلا ... أمرِ فقد وافتك في آماله
ولئن أكن في الناس أصغر منشدٍ ... فأنا الكبير بقلبه ومقاله
واسلم ودم ملك الزمان وأهله ... ما انهلّ وابلٌ في سياق طلاله

وله يمدح الخديو الأعظم أمير الأقطار المصرية إسماعيل باشا، ويطلب منه الدخول في إحدى المدارس المصرية فأجابه:

تجاذبني ثوبي وتغلق بابها ... وتزعم أني قد هجرت انتيابها
دعيني فلا والله ما الهجر شيمتي ... ولا قول عُذّالي يجوز رقابها
ولكنّ حالي يا ابنة القوم حائلٌ ... بما كدّرت سودُ الليالي شرابها
فربّ قلوص قد تسلمت فانبرت ... بأشعث في دويّة ما استطابها
يجوب بها أجوال كل تنوفةٍ ... تسر وتبدي ماءها وسرابها
إذا هبّت الأرواح فيها ترى لها ... دويّاً بتمزيق القتاد ثيابها
وإن حلها الليل الدجوجي ظنّها ... مِهاداً وثيراً واستطاب ترابها

تحاذرني فيها الضواري مخافةً وتعجب مني كيف وافيت غابها
ولم يك لي فيها سوى السيف مؤنسٌ وبندقةٌ تُصلي العدو شهابها
محلاّةُ الأطراف صافٍ حديدها إذا ما رآها الطير في الجو هابها
يحاذرها في الناس من شطَّ أو دنا ويخشى المعادي إن تمادى عتابها
كأني إذا ألفيتها فوق منكبي من الأمن في دارٍ حويت انتسابها
وبيني وبين المكّتين مهامهٌ يتيه بها الهادي ويخشى اجتيابها
إذا جاءها الدجن الملث بمائه تذكرت من أيدى الخديو انسكابها
أعيذك إسماعيل من عين حاسدٍ تبيت تراعي النجم مما أصابها
أتى بك دهرٌ للمعالي وطالما تأبى فلم يفتح بمثلك بابها
أراك كما قد قيل والليل شاهدٌ إذا كانت العلياء بحراً عبابها
كريماً على العلات لا تتقي الردى إذا أبرزت نارُ الوطيس التهابها
فكم من خُطوبٍ ساورتك فلم تجد سوى مشمعلٍ قد أذلّ صعابها
يرى أن ظلم المال عدلٌ وأنّ مَن يروم المعاني لا يَملّ طلابها
تسائلني يا ابن الكرام صفاتكم مديحاً ومَن لي أن أجيد جوابها
ولست كمن يبغي ثواباً بمدحةٍ عدمت ودادي أن أردت ثوابها
وإني لأرجو والأماني كثيرةٌ عسى نظرةٌ فيهنّ ترضي غضابها
فأروي ثمار العلم يانعة الجَنى وأرشف منها ثغرها ورضابها
عليك سلام الله ما لاح بارقٌ وما هبّت الأرواح تُزجي سحابها

وله يمدح خير الدين باشا أحد المماليك الناشئين في تونس ويستنهض همته وقد تولى الوزارة فيها وظن الناس أن بتوليته تنتفع البلاد والعباد مستدلّين بنسبة المجموع المسمى بـ: «أقوم المسالك بمعرفة أحوال الممالك» إليه:

أهاجَك رسمٌ من تِهامة دائرُ عفتها الليالي ساعفتها المواطرُ
فبتَّ شجيَّ القلب تشكو ولم يكن لديك امرؤ يشكو ولا مَن يؤازرُ

وباتت يد التّذكار تعبث في الحشى ... وتنشر ما تُطوى عليه الضمائرُ
أمِ البرق من أكناف حلقٍ قد خفا ... فطار إليه من فؤادك طائرُ
بلى قد تذكرت العراقين فانبرت ... تمثل مجرى الوافدين البوادرُ
دع الذكر والذكرى إذا هان خطبها ... تهيّج أحزاناً لمن هو ذاكرُ
ولا تسأل الأطلال فهي صوامتُ ... سقاها من الوسم هامٍ وهامرُ
ينوء يمانياً فتحدو به الصبا ... ويزجيه أن أعيا من الرعد زاجرُ
يطبق بطنان الربوع فينثني ... وفي يدها مما حباها أساورُ
فتصبح مرؤباً ثآها وممرعاً ... ثراها وتلهو في رُباها الجآذرُ
من القاصرات الطرف واللات لم يرم ... قصيراتها إلا الليوث الخوادرُ
عنيت قصيرات النساء ولم أُرد ... قصار النسا شر النساء البحاترُ
وشرُّ امرئٍ في الناس مَن لا يهمّهُ ... دراك الأماني فهو قاصٍ وقاصرُ

ومنها:

فلم يبق برٌّ ما حللت بسوحه ... وتشهد لي في بحرهنّ البواخرُ
وما شانني ليس السواد وإنما ... يشين الفتى ما لم تخذه الأكابرُ
ألم تنظروا الأحداق لولا سوادها ... لما قصرت عن فعلهن البواترُ
ولولا سواد الليل لم يَرد الفتى ... موارد لهوٍ تصطفيها السرائرُ
سلوا إن جهلتم كل مَن حجّ هل على ... مناكب بيت الله سودٌ ستائرُ
وهل حجر التقبيل أزرى سواده ... به فارعوى عنه تقيٌّ وفاجرُ
ومن نكد الأيام فقدُ ذوي النّهى ... وصحبةُ مَن لم تستمله المفاخرُ
وكائن ترى في الناس من ذي ضخامة ... تروعك منه وهو غِرٌّ مناظرُ
يظن المعالي في كساءٍ مرحّلٍ ... ويحسب أن المجد إرثٌ يشاطرُ

ومنها عند المخلص:

فيا ليلةً قد أوهن السيرَ عزمُها ... ظلامُكِ قد أغفى ونجمُك ساهرُ

كأنّ له مثلي اشتياقٌ مبرحٌ ... تتوق لخير الدين منه المناظرُ
نلومك خيرَ الدين من غير سُبّةٍ ... لأنك قد أعجزت مَن هو قادرُ
وخلّفتَ مَن ساروا سِراعاً إلى العلا ... وألجمتَ مَن تصبو إليه المنابرُ
أويت إلى ركن الخلافة راغباً ... فكنت كمثل العين وهو المحاجرُ
وشديت أزر الدين خوف انحلاله ... وأنجدت مَن دارت عليه الدوائرُ
فأنت بإفريقية اليوم واحدٌ ... وأول مَن تثنى عليه الخناصرُ

ومنها:

وقالت أوروبا إن أوحد تونس ... حليفَ المعالي عن ذراعيه حاسرُ
فإن عاش يحيى عهد (ديدون) والألى ... قفوها فتمتد القوى والعمائرُ
وقالت سيحذو حذو (مدحت) مجرياً ... قوانينها اللاتي ارتضتها الشعائرُ
فقلنا وقد طار السرور بكل مَن ... على العُرب يعزى نعم تلك البشائرُ
وإني وإن خالفت ناساً بما أرى ... فما جلُّهم إلا جهولٌ مكابرُ
كما اختلفوا في خط باجةَ برهةً ... وقالوا يقيناً فعل مَن لا يشاورُ
وما هو إلا فعل عدلٍ محكم ... بصيرٍ بما يخفى وما هو ظاهرُ
فإن لم يكن حصنٌ لتونس غير ما ... دروه فلا اختالت لديها المناسر
ولا أهّلتها للملاحم ساسةٌ ... من العُرب لا ينفكّ عنها التظاهرُ
يفوقون أهل الحلّ والعَقد منطقاً ... ورأياً وكتباً تتّقيها العساكرُ

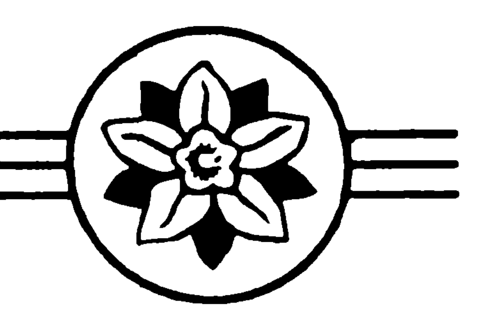
ومنها:

وخذ بيد الصُّناع إن لتونس ... من الوشي ما تختال منه المتاجرُ
فأنت الذي أرشدت كل موحّدٍ ... بأقومك العالي على مَن يحاورُ
فهل نحن إلا أشرف الناس إن علَوا ... علونا وإن راموا النفار ننافرُ
يمجّد كأنّ المجد لا مجد عنده ... تليدٌ بنته من قريشٍ أكابرُ
ومنطقنا لا ضيّع الله أهله ... أقرّ له بالفضل مَن لا يكابرُ

دعــونــاك يــا كــهــف الــنــجــاة ومونئلُ العفاة إلى ما تتقيه المصائرُ
فـإن أنـت أفـعـمـت الـدِّلاء فـحـبّـذا وإلاّ فـمـن يـروي عـطـاشـاً تـضـاورُ
وأنـت الـذي إذا مـرضـت تـمـرّضـت لأجـلـلـك دنـيـانـا وقـلّ الـتـزاورُ
فـلسنا نـخصّ اليوم ذاتك بالـهنا فـبُـرؤك بُـرءُ الـكـلِّ والـكـلُّ شـاكـرُ
إلـيـك بـلا أمـرِ خـريـدةُ شـاعـرِ أتـاك ولـم يـشـعـر بـمـا هـو شـاعـرُ
وقـد هـجـر الأشـعـار قِـدمـاً وسـامَـه مع الهجر ما يلقى الوحيد المسافرُ
ومـا مـهـرهـا إلا الـقَـبـول فـإن تـفُـز بـه فـهـو أولـى مـا عـلـيـه الـتـصـاهـرُ

وقـد اقـتـصـرنـا مـن شـعـره عـلـى هـذا الـقـدر وإلا فـلـه مـن الـمـقـطّـعـات والقصائد ما يستحق أن يكتب بالخناجر على الحناجر.





تمت الرسالة

تم بحمد الله طبعُ هذه الأوراق التي احتوت على ما رقَّ من ثمرات الفنون وراق، وهي تشهد لمؤلّفها بأنّ له اليد الطُولى في كل فنّ، وتحمِل الجبان على بذل روحه وماله من غير ضنّ في اكتساب العلم الذي هو أفضل ما يُقتنى، وأولى ما به يُعتنى، وكفى به شرفاً أن الله أمر حبيبه بطلب الزيادة، ونسأل الله لنا ولِمؤلفها الحسنى وزيادة. ولاح بدر التمام وفاح مسك الختام بالمطبعة الوهبية إحدى المطابع المصرية أواخر رجب الحرام أحد شهور سنة **1294** أربع وتسعين ومائتين بعد الألف من هجرة مَن هو للرسل ختام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام.

تم

وهذا تقريظٌ لطيف جادت به فكرة الأديب الكامل الذي شهد بفضله كلّ فاضل حضرة وهبي أفندي معلّم اللغة الفرنساوية بمدرسة حارة السقائين المصرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفّق مَن شاء من عباده لبثّ المعارف، ونشر ما تزدان به الأوطان من اللطائف، والشكر له على سوابغ آلائه التي لا تحصى، وسوابق نعمائه التي لا تستقصى، ثم الصلاة والسلام على جميع أنبيائه الكرام ورسله المرشدين للأنام، **أما بعد:**

فقد اطّلعت على هذه الرسالة المفيدة، والعُجالة العلمية الأدبية الفريدة، إطّلاع مَن تدبّر الألفاظ لإدراك معانيها، وأمعن النظر في كيفية أسلوب مبانيها، فألفيت ما لم تحط به باع الإطلاع قبلها في كتاب ولا تعلّقت به أطماع الأسماع في سالف الأحقاب من الفوائد الجمّة والفرائد المهمّة، واللطائف الفائقة والأساليب المستعذبة الرائقة الدّالة على ما لحضرة مصنّفها العلاّمة من طول الباع وحسن التفنن والإبداع، فقد سلك فيها مسلكاً لم يُسبق إليه ولا حام فكر أحدٍ من المتقدمين عليه حيث جعلها كسلّم يُتوصل به الطلاب إلى تحصيل العلوم والآداب، جزاه الله كلّ خير عن هذا النفع العام، وبلغه من المقاصد الخيرية غاية المرام.

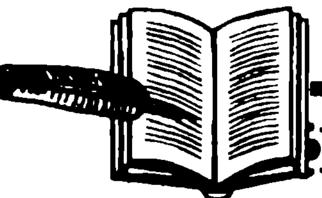
كتابٌ قد حوى غُرَرَ المعاني	فأزرى بالمثالب والمثاني
تقول لكلِّ مطّلعٍ عليه	مطالبَه اعتزل ذكرى الأغاني
فإنّ العلم إرشادٌ ونورٌ	وأفضل ما يعانيه المُعاني
فدونَك تحفةٌ أدنى جناها	بقسطنطينة رب البيان
فلا زالت به تزهو افتخاراً	ودام مُكرَّماً سامي المكان

[تقريظ آخر][1]:

وهذا التقريظ لوحيد عصره وفريد دهره السيد حامد سليق أحد فضلاء الشام وعلمائها المقيمين في مصر المحروسة:

قد اطلعت من هذا الكتاب على ألفاظٍ رقيقة، ومعاني رشيقة، وآدابٍ فائقة، وحكم رائقة تدل على ما لمؤلفها من البراعة التامة، والمعرفة العامة، وتشهد له بخلوص النية وحسن الطوية اللّذين ألجآه إلى نصح المسلمين وإرشاد المتعلمين.

(1) نقلته من صفحة الغلاف.



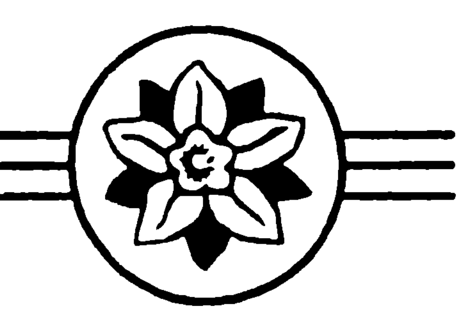
نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية

بقلم

محمود ابن الشيخ علي الجزائري

تقديم وتعليق

ابن الحاج الجزائري



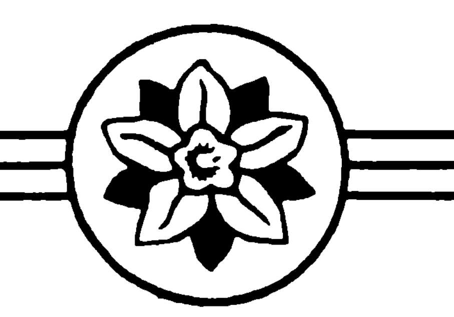
مقدمة

«حمداً لك يا مَن علَّم آدم الأسماء كلها فنطق بفصل الخطاب، مُعرباً عمّا بُني عليه طرف الحكمة من الصواب، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد مَن بجميع أقواله وأفعاله تعبَّد الآل والأصحاب، وعليهم ما تخلص نور السنة بعد قمع الشبهة بالقطع والاقتضاب...»[1].

أما بعد، فهذه هي رسالتنا الثانية في موضوع تعليم الناشئة، وهي بعنوان: «**نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية**» من وضع الشيخ محمود ابن الشيخ مفتي المالكية بالجزائر علي بن عبدالقادر بن الأمين الجزائري. وكما هو مقرر فقد جعلنا هذه الرسالة مكمِّلةً لرسالة المجاوي السابقة مما يسمح بتسلسل الأحداث والأفكار في ذهن القارئ، وينبهه إلى طبيعة الصراع الذي خاضه المسلمون الجزائريون في ذلك الزمن إن لم نقل إلى اليوم، فيرفع به قوماً ويضع به آخرين.

وهذه الرسالة تصدى فيها مؤلفها إلى دعوة بني جنسه الجزائريين إلى النهوض بطلب العلم والمعارف، ولكن على منهج لم يعرفه آباؤه ولا آباء آبائه من قبل... إنها الدعوة إلى التعلم بالفرنسية وأخذ علوم الفرنسيس. فكيف كانت بدايتها؟ وكيف تطورت؟ وما هي أهدافها الحقيقية؟ وكيف تصدى لها الجزائريون بما فيهم علماء الجمعية؟

(1) «إعراب أما بعد» لعلي بن الأمين الجزائري (مخطوط). وقد طبع بمصر قديماً، ويقوم أحد الإخوة الآن بإعداده للطبع.



بدايات التعليم الفرنسي بالجزائر وأهدافه الحقيقية[1]

منذ سنة **1830** أنشأ الفرنسيون مدارسهم الخاصة بهم، وحاولوا جذب الجزائريين إليها فنفروا منها وربطوا بينها وبين التنصير والاستعمار، وفضلوا تعليم أولادهم على الطريقة القديمة طريقة الكتاتيب والزوايا والمساجد، لكن استيلاء الفرنسيين على بقية الأوقاف جعل التعليم فيها يتضاءل ثم ينعدم شيئاً فشيئاً.

● **نشأة المدارس الابتدائية المزدوجة اللغة**: بعد عشرين سنة من عمر الاحتلال وإهمال التعليم أنشأ الفرنسيون بعض المدارس وسموها باسم خاص وهو المدارس العربية ـ الفرنسية، وكانت موجهة للأهالي، لكن سرعان ما اكتشف الجزائريون أن الهدف منها هو نشر اللغة ونمط التفكير الفرنسي وليس التعليم.

يقول الأستاذ القماري: «بعد القضاء على المقاومة، أو بعبارة أخرى بعد عشرين سنة من الاحتلال ظن الفرنسيون أن الوقت كاف لهزيمة الجيل الذي عاصر الاحتلال، وحان وقت كسب جيل جديد يخضع لهم عن طريق المدرسة والتأثير المعنوي كما يقولون[2]... ومحتوى برامج هذه المدارس

---

(1) هذا الفصل هو تتمة لما سبق في فصل تطور التعليم من مقدمة الرسالة الأولى وقد توقفنا هناك إلى زمن الحركة الإصلاحية، وسنحاول هنا أن نواصل الحديث إلى ما بعد الاستقلال ونركز فيه على تعليم الصبيان حسب موضوعنا، ومَن أراد التوسع فعليه بالجزء الثالث من التاريخ الثقافي للأستاذ القماري.

(2) التاريخ الثقافي (3/ 282).

لا يتجاوز غسل المخ وتوجيه جيل جديد من الجزائريين نحو الفرنسية وقطعه عن جذوره، وذبذبة الأسرة والمجتمع من ورائه.. وكان يشرف عليه ضباط المكاتب العربية بعنجهيتهم وتعاليهم...»[1].

ويقول أيضاً: «لقد كان هدف التعليم الموجه للجزائريين من البداية متصفاً بطابع التحدي الديني واللغوي والحضاري. كان الفرنسيون يشعرون ويعلمون على أنهم ما داموا قد نجحوا في احتلال مدينة الجزائر، وفرض سيطرتهم المادية على الحصون والقلاع ورفع العَلَم، فإن ذلك يبيح لهم انتهاك كل الحرمات والدَّوْس على جميع المقدّسات والتدخل في كل الشؤون حتى العائلية والمدرسية والدينية، ولكنهم كانوا واهمين، فالمقاومة لم تتوقف، وكان الناس مؤمنين بأن النصر سيتحقق لا محالة ضد العدو، غير أن هذا النصر قد طال انتظاره، فتمسكوا بالجانب الآخر من المقاومة وهو الجانب الحضاري فلم يتنازلوا للفرنسيين عن مقاليدهم الحضارية بالسهولة التي توقعها هؤلاء. وهنا تظهر في الواقع عبقرية الشعب الجزائري وعبقرية الإسلام في المقاومة...»[2].

● دور بقية رجال العلم والدين أو.. فئة «المثقفين»!!:

أمام هذا الوضع لجأت السلطات الفرنسية إلى فئة أخرى من الجزائريين لكي تدعو الأهالي إلى تعلم اللغة الفرنسية والكف عن مقاطعة مدارسها، وبيان فوائدها العلمية والاقتصادية، وتربط ذلك بكرم فرنسا نحوها والبرهنة على العلاقة بين العلوم العربية والعلوم الفرنسية. وهذه الفئة هم رجال الدين والعلم الموالون للسلطات أو الموظفون في إدارتها. وكان هؤلاء عادة من عائلات قديمة معروفة ومؤثرة. «فمنذ بداية الاحتلال تنبهت السلطات الفرنسية إلى طريقة تكسب بها ود مجموعة من المثقفين الجزائريين

---

(1) المصدر نفسه (3/ 285).

(2) المصدر نفسه (3/ 287).

الذين لا خطر منهم على المستوى السياسي والاجتماعي، فقد شرع (كلوزيل)، ثم قلده خلفاؤه، في اختيار عناصر المثقفين النابهين من كل مدينة وإرسالهم إلى باريس للقيام باتصالات وحضور حفلات منظمة... وبعد صقل هؤلاء المثقفين **وغسل مُخِّهم** في متاحف ومعارض ونوادي باريس وحفلاتها يعودون يلهجون بحب فرنسا وتقدّمها وجمال مدنها، ومحاسن أخلاق أهلها... إلخ، فتكون النتيجة كسب هذه الطاقة من المثقفين والتأثير بهم على بقية السكان»[1].

وابتداءً من عقد الستينات ظهرت في جريدة المبشر مجموعة مقالات تدعو الجزائريين إلى التعلم باللغة الفرنسية وتحصيل العلوم الفرنسية، قام بها شيوخ أمثال مصطفى بن السادات[2]، ومحمود ابن الشيخ علي، ومحمد بن عبدالله الزقاي... وغيرهم.

يقول الأستاذ القماري: «لا نستطيع أن نتهم أولئك المشايخ بأنهم كانوا (عملاء) للإدارة الاستعمارية، ولكن فقط نتهمهم بالجهل بخلفيات السياسة الاستعمارية وأبعادها. ألم يؤيد مشايخ أمثالهم الحكومة العامة سنة **1933** حين أصدرت منشور (ميشيل) بغلق المدارس الإصلاحية؟ ألم يدعم آخرون فرنسا سنة **1914** ضد الدولة العثمانية؟ ألم يصِفوا وفد المؤتمر الإسلامي سنة **1936** بأنه كان يتدخل في السياسة ويتحدث عن الوطنية

---

(1) مدارس الثقافة العربية بالجزائر ص(64 ـ 65)، وقد استعمل أسلوب الدعوة إلى زيارة باريس وأوروبا للتأثير على المسلمين في حملة نابليون على مصر، وراج على بعض علماء الأزهر كما تفطّن للأمر آخرون، والأمر نفسه حدث في الجزائر. ويمكن أن يُدرج هذا الأسلوب في التأثير ضمن أوائل الحروب الإعلامية أو الغزو الثقافي المستعمل ضد المسلمين عن طريق الانبهار بمشاهدة المدن الأوروبية ونمط العيش والتقدم الأوروبي. أما اليوم فهناك مؤثر آخر. سمعت أستاذي الدكتور (م.سعيدوني) يقول في إحدى محاضراته: «إن تأثير المدينة في القرن التاسع عشر على الإنسان قد زال في القرن العشرين وعوض بمؤثر آخر هو في ظني... **التلفاز**...» والفرق بين المؤثرين واضح.

(2) راسله الشيخ عبدالحي الكتاني وطلب منه الإجازة كما في فهرس الفهارس له.

(الممنوعة). إن السلطات الفرنسية كانت تجد أمثال هؤلاء المشايخ في كل وقت يختمون على قراراتها ويصدرون لها الفتوى المناسبة...»[1].

• بداية ظهور فئة «النخبة»!!:

كانت دعوة هؤلاء المشايخ إلى التعلم في مثل هذه المدارس في حقيقة الأمر دعوةً مجانية قاموا بها، وذلك لأن المدارس المفتوحة لا تكفي حتى لأبناء المخلصين لفرنسا، ففي القطر الجزائري كله خلال الخمسينات والستينات لا توجد إلا **42** مدرسة ابتدائية، وفي الواقع لم تكن هذه المدارس مفتوحة لكل الجزائريين وإنما قصد بها فئة واحدة.

وأصل هذه الفئة يرجع إلى أبناء الموظفين الجزائريين الذين فضّلتهم فرنسا على غيرهم. فقد كانوا أصحاب امتيازات مادية وتعليمية باعتبار آبائهم الذين خدموا الإدارة الفرنسية في الجيش أو في وظائف القياد والأغوات وغيرها. وكان تعليم هؤلاء بسيطاً في أغلبه، والقليل منهم فقط وصلوا إلى درجة عليا في التعلم. وكان التجنس[2] شائعاً في أوساط هؤلاء.

• بعد عشرين إلى خمسين سنة:

تغير كل شيء في الجزائر بفضل الجهود الفرنسية، حتى القضاة المسلمون سيتغيرون تبعاً للقضاة الفرنسيين، وها هي الآن تتكون (نخبة) خضعت للتأثير الفرنسي وهي تفيض بحب فرنسا وتسبح بحمدها.

يقول الأستاذ القماري: «إن هذه الفئة التي انقطعت عن ماضيها مدة جيلين تقريباً واندمجت في الوسط الفرنسي، وابتعدت عن المجتمع الجزائري الذي كان يسوده الجهل والتخلف، هي التي كانت لا ترى التعليم إلا باللغة

---

(1) التاريخ الثقافي (6/ 210).

(2) التجنس أي: طلب الجنسية الفرنسية وبالمقابل ترك جنسية المسلمين الجزائريين. وكان التجنس في ذلك الوقت شعاراً لمن يريد أن يهجر قومه ويبدل دينه، ولذلك أفتى ابن باديس يومها بكفر صاحبه.

الفرنسية، وقد انضم إليهم بين الحربين المتخرجون على يد الآباء البيض وبعض المتخرجين من (القسم الأهلي) في مدرسة النورمال ببوزريعة، ومنهم أصحاب مجلة (صوت المستضعفين). . .»[1].

ويقول بعد ذلك: «يجب ألا نندهش من هذا الذوبان. . فما هو إلا ظاهرة طبيعية لإنجازات المخطط الفرنسي منذ البداية. وهي تبرر موقف أغلبية الجزائريين الذين فهموا منذ البداية أن المدرسة الفرنسية ستخرج أولادهم على هذا النحو من الانسلاخ. وقد تبين أن الخطة ليست هي التعليم في حد ذاته، أو تعليم العلوم باللغة الفرنسية كما فهمها البسطاء والجهلة من أمثال مصطفى بن السادات ومحمود ابن الشيخ علي. . . ولكن تذويب الإنسان الجزائري ومحو شخصيته حتى يصبح كالسكران يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول»[2].

• موقف جمعية العلماء وبقية الأحزاب:

كان موقف الجمعية من التعليم الفرنسي واضحاً فهي لا تمانع في أن يتعلم أبناء الجزائر بالفرنسية أيضاً، بل كانت تعتبرها من العلوم الآلية التي يحتاجها المتعلم في حياته، وبينما كان علماء الجمعية بالذات يعلمون بالعربية فقط ويطالبون بحرية التعليم بها وبترسيمها كانوا لا يمانعون أيضاً أن يرسلوا أبناءهم إلى المدارس الفرنسية.

أما بقية الأحزاب فبعد ظهور «حزب الشعب» الذي ضم إلى صفوفه عدداً من المتعلمين بالفرنسية أصبح واضحاً أيضاً أن الفرنسية لا تعني الاندماج دائماً. لكن الذي قصم ظهر حركة الاستغراب حقاً هو الحركة الإصلاحية التي كشفت عن هوية المجتمع الجزائري الحقيقية ودافعت عنها وصقلتها، وقدمتها في الصحافة والخطب والأناشيد والكتب فاهتدى بها مَن اهتدى، وبقي الضالون قِلَّة متوارية لا تجرؤ على المواجهة.

(1) التاريخ الثقافي (6/ 335).

(2) التاريخ الثقافي (6/ 248).

وفي سنة **1947** قسم الشيخ أبو يعلى الزواوي أصناف المتعلمين الجزائريين إلى الفئات التالية:

1 - قسم يحسن الفرنسية كما ينبغي، فهم دكاترة ومحامون.. يجهلون العربية تمام الجهل، ويجهلون أحكام الإسلام وقواعده فهم مسلمون بالاسم فقط، والحمد لله إنهم قليلون.

2 - قسم متعلم تعلماً بسيطاً قليلاً، صاروا صالحين للجندية، وتعاطوا الأشغال العمومية، فهؤلاء يؤلفون الأكثرية، وأكثرهم فقراء، حرموا تماماً من التعاليم العربية الإسلامية، أميون.. إلا أنهم عرب مسلمون مغلوبون مقهورون ينتظرون الفرج، ويدعون الله بواسطة الأولياء الصلحاء الأموات، وأحوالهم وأعمالهم وجميع تصرفاتهم مما يحزن أهل العلم والمعرفة.. وأبناء هذا القسم أخذتهم الحكومة الاستعمارية فعلّمتهم اللغة الفرنسية حتى أصبحوا فرنسيين وإذا أتموا الجندية انتقلوا إلى الاستخدام عند المستعمرين. ومنذ الحرب الأولى إلى هذه صاروا يتوجهون إلى فرنسا ويتركون البقية الباقية من أراضيهم بوراً بلا خدمة.. فصار هذا القسم من المعذبين المهلكين، مع الجهل المطبق والعقائد الفاسدة والتصرفات السفيهة فيالله .. وهذا القسم يمثل الأغلبية الساحقة **90** بالمئة من الجزائريين.

3 - قسم من الأعيان والأغنياء، هم بما لديهم فرحون، وعنايتهم بالراحة وحسن اللباس ورغد العيش. وليس هناك مقارنة بين ما يفعله وينتجه هؤلاء وبين أمثالهم من الأعيان الأغنياء الفرنسيين.

4 - أما القسم الأخير فهو قسم العلماء وطلبة العلم، وأكثرهم فقراء، وهم قليلون بل قليلهم كثير، وواحد منهم كألف، وألف من غيرهم كألف...».

● بعد الاستقلال:

كان رصيد الجزائريين من المتعلمين بعد الاستقلال ضئيلاً، وهم على قِلّتهم على قسمين:

الأول: قسم مثقف بالثقافة الفرنسية، وهم بقايا الفكر الاندماجي أو الفئة الأولى بتقسيم الزواوي، والفئة الثانية وأبناؤهم ممن تعلم الفرنسية بقدر ما مكنهم أن يتوظفوا لدى الحكومة الفرنسية، ولذلك فقد ارتبطت مصالحهم بالفرنسية حتى بعد الاستقلال. وغدت هذه الفئة ترغب في بقاء اللغة الفرنسية وحضارتها وتدافع عنها حماية لكيانها، وتدعو إلى التعلم بها حفاظاً على ثقافتها، وحرصاً على بقائها تتكلم اللغة التي تعلمتها، وخوفاً من أن لا تستطيع تعلم اللغة العربية فتخشى أن لا تبقى في مراكزها التي هي فيها.

وحجتها في بقاء الفرنسية هي الحجج التي ذكرها دعاة الفرنسية الأوائل كالشيخ محمود ـ غفر الله له ـ وهي وإن كانت قد تروج على الناس في ذلك الزمن فهي اليوم واهية. وقد رأينا كيف أن الجزائريين الأوائل حاربوها وسعوا في حربها رغم الثالوث الاستعماري الرهيب.. الجهل.. المرض.. والجوع. ولذلك فقد سار هذا القسم على خطى الفكر الاندماجي الذي ظهر في زمان الاستعمار وحالهم وواقع أكثرهم أفضل برهان.

أما القسم الثاني: فهو مثقف بالثقافة العربية الإسلامية، وهو نتاج جهود الحركة الإصلاحية المباركة بالجزائر التي لو كُتب لها زمان أطول وإمكانيات أكبر لحررت الجزائريين من الاستعمار تحريراً حقيقياً. وهم قليلون لكن الواحد منهم كألف كما يقول الزواوي.

وترى هذه الفئة أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم وذلك حفاظاً على لغتنا، وحرصاً على عقيدتنا الإسلامية التي معظم علومها باللغة العربية، ولضرورة ارتباطنا بتراثنا وحضارتنا وماضينا، فالأمة التي تتخلى عن ماضيها وتترك لغتها لا تلبث أن تفقد شخصيتها وتضيع، وإننا أمة لها ماضيها ولها حضارتها، ويمكن للغتنا أن تواكب العلوم كلها وهذا مرتبط بأبنائها وباعتزازهم بأمتهم، كما أننا نختلف عن الفرنسيين في كل شيء في الحضارة، وفي الحياة الاجتماعية، وفي العقيدة.. وقد قمنا نقاوم الاستعمار الذي أراد أن يفقدنا شخصيتنا، وحاربنا الصليبيين الذين أرادوا إذلالنا، وقدمنا الشهداء حفاظاً على عقيدتنا وشخصيتنا وكياننا، فلما تمَّ لنا ما نريد

نعود مرةً أخرى نرتمي في أحضان الأعداء، ونستسلم لهم ونصبح تبعاً لهم حتى بالفكر.

وهكذا فقد عرفت سنوات الاستقلال بين الفئتين ما سمي بصراع الهُوية.. الذي ظهرت نتائجه بعد ثلاثين سنة.

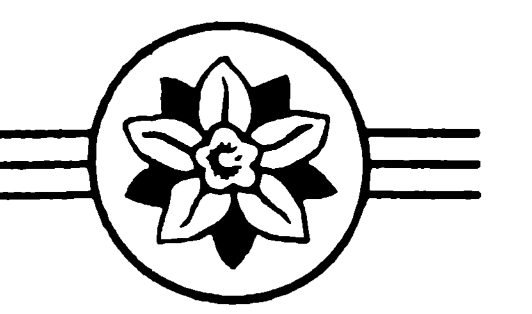
يقول الشيخ أبو يعلى الزواوي: «كلما اختلفت التربية والتعليم، اختلفت الطباع والأخلاق وتباينت، وإذا تباينت تنافرت، وإذا تنافرت تشاجرت وتقاتلت، ومن هذا القبيل عدم توحيد التربية والتعليم»[1].

واليوم.. وبعد أكثر من أربعين سنة من الاستقلال لا يزال الحديث جارياً حول فشل المناهج القديمة بل والجديدة في التربية والتعليم!!؟



---

(1) الخطب ص (61) بتحقيقنا.



ترجمة المؤلف

اعتمدت على ما ذكره الحفناوي عنه في تعريف الخلف وهي ترجمة لا تتعدى السطور، وعلى ما كتبه عنه الأستاذ القماري في تاريخه.

هـو محمود ابن المفتي علي بن الأمين الجزائري، كان أبوه شيخ جيل كامل من علماء الجزائر عشية الاحتلال.

وكان الابن محمود ولوعاً بالكتابة والنسخ وله مكتبة غنية، توظف إماماً في المدرسة السلطانية (الكوليج) التي أسسها الفرنسيون ثم (الليسيه) الفرنسي، وبالإضافة إلى ذلك تولى الشيخ محمود التدريس في الجامع الكبير بالعاصمة. وتوفي في **17** فبراير **1897**م.

من آثاره المكتوبة:

1 ـ تعليق في الطب.

2 ـ رسالة «نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية»، وهي مقال نشره بجريدة المبشر الاستعمارية بتاريخ **25** جويلية **1867**م.

3 ـ مقال في تحبيذ الانتخابات وطلب الاقتداء بها من المسلمين. نشر بجريدة الجوائب المشرقية ثم بالمبشر بتاريخ **21** يناير **1869**.

يقول عنه الأستاذ القماري: «كان كأبيه علماً ولكنه ليس كأبيه عملاً، فلم يصل إلى رتبة الفتوى رغم أنه من علماء الوقت».

وقال عن مقاله المذكور: «يدل على اتساع معارفه في الأدب والتراث والتاريخ...».

والذي يظهر لي خلاف ذلك لأمور:

أولاً: أن الفرنسيين لم يقصدوه لعلمه بل لنسبه وشهرة أسرته في العلم، ولو كان عالماً لم يقصدوه.

ثانياً: أن شهرته كانت في النساخة لا في العلم وشتّان بين الأمرين، ولو كان عالماً لبرز.

ثالثاً: أن العلماء أغلبهم هاجر أو اضطهد أو تخفّى.

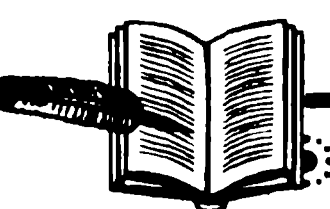
وأما عن مقاله وما فيه من شواهد قرآنية وحديثية وشعرية فقد ساقه برمّته من كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي وربط فيه بين باب العلم وباب المعيشة من الإحياء، مع اختصار مخل في بعض الأحيان ودون تحقيق كما سيظهر في التعليق... آخر المقدمة...

كتبه

عادل بن الحاج همال الجزائري

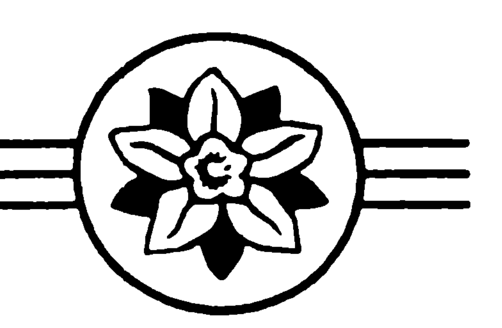
بتاريخ: **26** رمضان **1427**هـ





نصيحة عمومية

لأهل الحضر والبادية



[مقدمة]

حمداً لمن علَّم آدم كل الأسماء، وشرَّف نبيَّه على سائر الحيوان بالعقل والتمييز والصورة الوسما، وخصّصهم بالنطق والبيان عما في الضمير ليَبلُغوا مرما، ونشكره على ما ألهم، (علم بالقلم) ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 5] إحساناً منه وكرماً، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والمرشدين الأمة للحقّ حتماً، وبعد:

لما [كان][1] الكثير من الناس في هذا الزمن يتراخَون عن التعلم، بخلاً لأنفسهم وكسَلاً، أردتُ أن أوقظهم بنُبذةٍ في فضل العلم وشرفه، وذمِّ الجهل وغوائله، لعلهم يتذكروا وتحيى قريحتهم للتعلّم كي يبلغوا ما يكمّلهم للرُتب الإنسانية، ومن المعلوم أن الشخص إذا لم يفهم معنى الشيء المطلوب لا تتحرك دواعيه إليه، ومَن جهِل شيئاً عاداه، بخلاف مَن يعرف المطلوب فإنه يحقر ما يَبذل فيه، لأن العلم هو الخاصية التي بها يتميز الإنسان عن سائر البهائم، فلفظ الإنسان مشتق من الأُنس، والاستئناس يستلزم الأُلفة، ولا ألفةَ إلا بالمخالطة، ولا مخالطةَ إلا بالملاءمة، ولا ملاءمةَ إلا بالمعرفة، ولا معرفةَ إلا بالتعلم، والتعلم يؤلّف بين العباد على اختلاف ألسنتها وطبائعها.

وكان الباعث لي على هذا القصد، وهْمُ الكثير من الناس أن العلم مخصوصٌ بعلم الديانة فقط، بل العلم في اللغة هو إدراك الشيء على ما

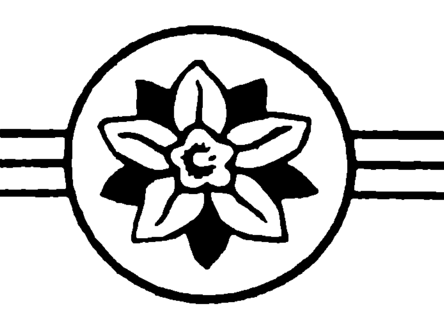
---

(1) زيادة مني يقتضيها السياق.

هو به[1] وهو مرادفٌ للمعرفة في حق البشر، والمعرفة صادقة على الكتابة والقراءة وحفظ اللغات والفلاحة والصناعة والحرف والتجارة وغيرها، فيرجع كل ذلك إلى إدراك الشيء على ما هو عليه، وهو العلم على الإطلاق.



(1) إدراكاً جازماً وهو قيدٌ مهم أضافه العلماء فقد يدرك المرء الشيء إدراكاً غير جازم بحيث يحتمل عنده أن يكون على غير الوجه الذي أدركه فلا يسمى ذلك علماً، ثم إن ترجح عنده أحد الاحتمالين فالراجح ظن والمرجوح وهْم كما هو مقررٌ في الأصول.



بيان فضل العلم والتعلم والتعليم بشواهده من النقل والآثار والعقل

أما من القرآن: فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿3﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿4﴾﴾ [الرحمٰن: 3، 4].

ومن الأحاديث: قوله ﷺ: «**طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم**»(1).

---

(1) الحديث له طرقٌ عديدة، قال الذهبي في تلخيص العلل المتناهية (رقم: 26): «روي عن علي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وأبي سعيد وبعض طرقه أوهى من بعض وبعضها صالح، والله أعلم».

قلت: وقد اختلف أهل العلم في مرتبته فضعفه جماعة وحسنه آخرون والراجح أنه بمجموع طرقه صحيح إن شاء الله، فممن حسنه الإمام المزي ووافقه الزركشي كما في اللآلئ المنثورة (ص43) وكذا قواه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص66) والسيوطي في الدرر المنتثرة (ص43) وقال: «جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره» انظر: فيض القدير للمناوي (4/ 267)، وممن اعتنى بجمع طرقه وتصحيحه العلاّمة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في تخريجه لكتاب مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام للقرضاوي (رقم 66)، وممن جمعها جمعاً طيباً وحكم بصحة الحديث الشيخ أمين الزهيري في تحقيقه لكتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (1/ 23 - 52).

تنبيه: اشتهر الحديث على ألسنة الناس بزيادة لفظ «. . . ومسلمة»، قال السخاوي في المقاصد الحسنة: «وليس لها ذكرٌ في شيء من طرقه وإن كان معناها صحيحاً». اهـ.

وقال: «**أُطلب العلم ولو بالصين**»[1]، مع أن أهلَه وثنيون. وقال: «**إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع المملوك حتى يُدرك مدارك الملوك**»[2]. وقال: «**قد أوحى الله إلى إبراهيم، فقال: يا إبراهيم، إني عليم أحب كل عليم**»[3]، وقال عيسى عليه السلام: «مَن علم وعمل وعلَّم فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات»[4]. وقال: «**من علِم علماً فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من النار**»[5] ونحوها كثير فلا نطيل بذكرها.

---

(1) ـ هو أحد زيادات طرق الحديث السابق، أخرجه بهذه الزيادة ابن عدي في الكامل (4/ رقم 1438)، والعقيلي في الضعفاء (2/ 230)، وابن عبدالبر في العلم (1/ رقم 20 ـ 22 ـ 29) وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي إسناده طريف بن سلمان أبو عاتكة، قال العقيلي: «لا يحفظ (ولو بالصين) إلا عند أبي عاتكة وهو متروك الحديث».
قلت: وله طريقٌ آخر، قال ابن عبدالبر في كتاب العلم: «وأخبرنا أحمد، نا مسلمة، نا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم العسقلاني، ثنا يوسف بن محمد الفريابي ببيت المقدس، ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك مرفوعاً: «**اطلب العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**» اهـ، ويعقوبُ العسقلاني قال الذهبيُّ في الميزان (4/ 449): «كذاب...» اهـ. فالزيادة المذكورة ضعيفةٌ جدًّا.

(2) أخرجه ابن عبدالبر في العلم (رقم: 71) وغيره من حديث أنس بن مالك بلفظ: «الحكمة تزيد...». قال الشيخ أمين الزهيري: «إسناده مسلسلٌ بالضعفاء ... وقال العسكري في الحث على طلب العلم: ليس هذا من كلام الرسول ﷺ بل هو من كلام الحسن وأنس» اهـ من تحقيقه لكتاب جامع بيان العلم (1/ 84).

(3) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (1/ 13): «ذكره ابن عبدالبر تعليقاً، ولم أظفر له بإسناد».
قلت: هو عنده كذلك برقم (226 ـ زهيري)، وأغفله مخرجه الشيخ الزهيري فلم يتكلم عليه بشيء.

(4) ذكر أخبار عيسى عليه السلام في باب الأحاديث النبوية اصطلاحٌ لم يعهده العلماء، وعادتهم ذكرها في الآثار كما فعل الغزالي في الإحياء.

(5) هو بلفظ: «**مَن سئل عن علم فكتمه...**» أخرجه أحمد (2/ 263) والترمذي (2649) وبقية الأربعة وغيرهم من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: «حديث حسن». **قلت**: والحديث بمجموع طرقه صحيح فقد روي عن عبدالله بن عمرو بن العاصي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة وطلق بن علي، وقد اجتهد الشيخ الزهيري حفظه الله في تحقيق الكلام حولها فلينظر.

ومن الآثار: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً لكُمَيل بن زياد: «يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسُك، وأنت تحرس المال، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تُنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق»[1].

وقال ابنه الحسن[2] هذه الأبيات:

الناس من جهة التمثال أكْفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى، لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
تعلم ولا تكن جاهلاً أبدا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال ابن عباس: «خُيِّر سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطي المال والملك معه»[3]. وسُئل ابن المبارك: «من أخير الناس؟ فقال: العلماء، قيل له: من السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه»[4] ولم يجعل من الناس إلا العالم، لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم، والإنسان إنسان بما شرف لأجله، وليس ذلك

---

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (1/ 79 ـ 80) وعنه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه عن كميل بن زياد قال: «أخذ علي بن أبي طالب بيدي، وأخرجني إلى ناحية الجبانة، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل، احفظ ما أقول لك. القلوب أوعية فخيرها أوعاها. الناس ثلاثة فعالم رباني...» ثم ذكر حديثاً طويلاً وفيه فوائد جمة، وقد اعتنى الإمام ابن القيم رحمه الله به فشرحه شرحاً طويلاً في كتابه (مفتاح دار السعادة) (1/ 403 فما بعدها ـ حلبي).

(2) الأبيات المذكورة لعلي بن أبي طالب نسبه إليها ابن عبدالبر في العلم (1/ 218)، وعنه الغزالي في الإحياء (1/ 14)، ومنه يستقي المؤلف معلوماته دون عزو ـ كما هو شأن العلماء ـ فلا أدري من أين أتى بهذه النسبة؟

(3) الإحياء للغزالي (1/ 14)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (1/ 237) وفيه أنه من قول ابن المبارك.

(4) الإحياء للغزالي (1/ 14).

بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه، ولا لِعِظَمه فإن الفيل أعظم منه، ولا لشجاعته فإن الأسد أشجع منه، ولا لأكله فإن الثور أوسع بطناً منه، بل لم يُخلق إلا للعلم وهو الذي يحصُل العز والشرف والوقار والاحترام لصاحبه، حتى أن أغبياء العجم وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولةً على التوقير لشيوخهم، لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة، بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بكمال تميز الانسان عنها لمجاوزته حد درجتها.

وقال الحسن البصري: «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم»، أي: أنهم بالتعليم يُخرجون الناس عن حدّ البهيمة إلى حد الإنسانية.

وقال بعض الحكماء: «ليت شعري أي شيء أدرك مَن فاته العلم، وأي شيء فاته مَن أدرك العلم»[1]، وقال بعضهم: «مَن اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً، ومَن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار»[2].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من شرف العلم أن كل مَن ينسب إليه ولو في شيء حقير فرح به، ومَن دفع عنه حزن»[3]. وقال الزبير بن بكار[4]: «كتب إلي أبي من العراق: عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالا»[5]. وحُكي في وصايا لقمان لابنه: «يا بُني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور العلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء»[6].

اِعلم أن المطلوب مما ذكرت هو معرفة فضيلة العلم ونفاسته، والشيءُ المرغوب فيه ينقسم إلى ما يُطلب لغيره وإلى ما يُطلب لذاته ولغيره، والذي

---

(1) المصدر نفسه (1/ 14).

(2) المصدر نفسه (1/ 15). وابن عبدالبر في العلم (1/ 246).

(3) الإحياء (1/ 15). وابن عبدالبر في العلم (1/ 251).

(4) ورد بالأصل الزبير بن أبي بكر!! ولا وجود له، والصواب ما أثبت كما في الإحياء.

(5) الإحياء (1/ 15).

(6) الإحياء (1/ 15). وابن عبدالبر في العلم (1/ 439).

يطلب لذاته وغيره أفضل وهو معرفة ما يجب في حق الله تعالى، وما سواه يدخل فيما يطلب لغيره كالكتابة واللغة والطب والحساب والهندسة والنجم والسياسة ونحوها، وقد قيل: إن أصول قوام الدنيا أربعة: «الزراعة للمطعم والحياكة للملبس، والبناء للمسكن، والسياسة للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة، وكل واحدٍ من هذه الصناعة تخصها صناعات لتهيئة آلاتها، انظر حكمة ترتيب هذه الأربع كلمات على النسق المذكور، كيف بدأ بالزراعة لأنها أصل القوت الذي لا بد منه وثنى بالنسج لستر العورة ووقاية البدن من الحر والبرد ومحلٍ لحفظ الأرزاق والأمتعة وغيرها، وجعل السياسة رابعة لتصون ما قبلها وتُجريها على طريقةٍ لائقة صالحة حتى لا يقع تعدي ولولاها لما انتظم الحال، وتجرّأ القويّ على الضعيف بكل مكان فالحقيقة [أنها][1] هي أساس انتظام العالم بأسره.

ولنرجع إلى المطلوب، فكل علم مقصده مصلحة دنيوية أو أخروية فهو محمودٌ قطعاً، فإذا تقرر هذا فلا بد أن تعرف أيضاً ما يتوقف عليه الشيء فهو مطلوبٌ أيضاً لأنه صار كالمقدمة له، والمبادئ قبل الأصول فإذا تنبهت لهذا التدريج علمت أنه يجب على كل أحد أن يتعلم ما هو جارٍ في أحواله الدنياوية أو ما يتوقع وقوعه، كيف وقد صارت اللغة الفرنساوية وكتابتها في هذه الأعصر وسيلةً لا غنًى عنها في العلوم على اختلافها، وسائر الصنائع وفنونها، خصوصاً الطب والهندسة والحساب والتنجيم والجغرافية والطبيعات والرياضيات وما يتفرع منها، ولا يتأتى الإنسان أن ينكر براعة أهل فرنسا في جميع هذه الفنون مع صناعات غريبة جديدة اخترعتها، فلا يمكن الوصول إلى ما ذكرنا إلا باللغة الفرنساوية وكتابتها لعدم وجود اللفظ العربي[2]، وقد كان المسلمون في

---

(1) زيادة مني يقتضيها السياق.

(2) قد يُفهم من هذه العبارة اتهام اللغة العربية بالعجز عن الإحاطة بمصطلحات العلوم الحديثة، وهي الشبهة التي يروجها الاستعمار ليتسنى له القضاء على المسلمين بالقضاء على لغتهم فدينهم فـ..فـ.. ولو عصب المؤلف التهمة بجهل المسلمين وتقصيرهم -=

زمن الخلفاء العباسيين أكملَ سائر البلاد تمدُّناً، انظر إلى المأمون بن هارون الرشيد فإنه كان يعين أرباب الفنون ويحضّهم على تعليم العلوم الغريبة حتى إنه كان يشتغل بنفسه في علم الفلك، كيف وهو الذي قد حرّر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستواء فوجده بالإمتحان ثلاثاً وعشرين درجة وخمساً وثلاثين دقيقة وغير ذلك، وجعفر المتوكل من العباسية أعان (اصطفان) على ترجمة الكتب اليونانية ككتاب (ديستوريديس) في الأدوية، وكذلك الملك عبدالرحمٰن الناصر صاحب الأندلس فإنه طلب من ملك قسطنطينية المسمى (أرمانيوس) أن يبعث إليه رجلاً يتكلم باللسان اليوناني واللاطيني ليعلِّم له أناساً يكونون مترجمين عنده فبعث له رجلاً يسمى: (نيقولا). وقد ألّف العالم أبو حيان النحوي الأندلسي كتاباً في اللغة الكسطليانية إلى غير ذلك[1].

فمن تأمل أحوال العلوم والفنون الأدبية والصناعات الاختراعية في هذا العصر، وجد أن المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت أوجّها بمدينة باريس، وأنه لا يوجد من حكماء الإفرنج مَن يضاهي حكماءها، ألم تر أن محمد علي باشا صاحب مصر كيف تفطّن لفائدة اللغة الفرنسية وكتابتها فتسبب في إحضار بعض علماء الإفرنج ببلاده ما أمكنه إحضاره، وبعث تلاميذ ما أمكنه بعثه في عدد يزيد على الأربعين نفساً من أعيان مصر إلى فرنسا في سنة

= وهو منهم - في إدراك ركب التطور بالعلم لأصاب وكان نصح إخوانه الجزائريين المسلمين حق النصيحة. ولكن رحم الله مَن قال على لسان حال العربية:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

(1) لا خلاف بين المسلمين في استحباب تعلم اللغات الأجنبية بل تعلمها واجبٌ كفائي، فالحكمة ضالّة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، ولو استدل المؤلف بالأحاديث الواردة في ذلك لكان أحسن. وأما ما نُقل عن بعض العلماء من كراهة الكلام بالأعجمية فمحمولٌ على الكلام بها من غير ضرورة فتنبه. وعن اهتمام النبيّ ﷺ بأمر اللغات والمسلمين بعده طالع فصلاً ماتعاً من كتاب التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية للكتاني، باب في التُرجمان الذي كان يترجم لرسول الله ﷺ (1/ 185 - 190).

1221 هجرية لأن علماءها أعظم من غيرهم في العلوم الحكمية، كيف نحن المقيمون معهم والمحتاجون لمخالطتهم ومعاملتهم وخدماتهم حيث إننا تحت حمايتهم، ولا نفقه لسانهم فهذا هو غاية الحماقة وشدة البلادة[1] مع أن الدولة لحنانتها[2]، سعت فيما ينفعنا بحسن رعايتها وأقامت المدارس بكل عمالة، بل في كل قرية لتعليم اللغة والكتابة وغيرها من العلوم[3] التي هي أساس المعارف، وجعلت أيضاً أماكن للصناعات، كل ذلك شفقةً علينا ولعلمها بجهلنا في تصرفات أحوالنا الدنيوية، فأوجبَ الحقُ ـ سبحانه ـ على الآباء والأولياء أن يقوموا برعاية ما كُلِّفوا برعايته ولا يتركون الأطفال هاملين أو على أغراضهم لأنهم لا يعلمون نفعهم من ضرهم، ولا لهم النظر في عواقب الأمور، حيث لم يتم عقلهم، ولهذا لم يكلِّف الشرع الصبي والمجنون، وكانت معاملتهما مفسوخة، فبالتعليم حال الصغر تتنور عقولهم وتتسع آذانهم، وتشحن قريحتهم، ويتخلّقون بعوائد الخير والصلاح حتى يرَوا البطالة والكسل داءً عُضالاً يفرون منه، وقيل: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر[4]، وقيل أيضاً:

لا يستوي صغر التعليم مع الكبر فاللين في الغصن ليس اللين في الحطب

فإن فاتت فرصة الصغر على الكُهّال، وندموا على التعليم وقت الصِّبا

---

(1) هذا قياس غير صحيح.

(2) كذا قال!!. يقول الشيخ مثل هذا الكلام في أيام انتزاع الأراضي من الجزائريين وإغراق البلاد بالمستوطنين الذين كانوا يأتون من كل أنحاء أوروبا، وفي أيام ثورة سيدي الشيخ التي كان فيها الجيش الفرنسي الملعون يرتكب الفظائع، وأيام صدور قانون الأندجينا الذي يعتبر الجزائريين رعايا لا مواطنين إلا إذا تخلّوا عن الشريعة. يقول الأستاذ القماري (6/ 216): «هذه الخلفيات لم يكن يعرفها الشيخ محمود، ولكن الشعب الجزائري كان يعرفها جيداً ويعيشها يومياً، ولذلك كان لا يؤمن بالبهرجة ولا بالحملة التي تصور فرنسا (حنانة) وذات قلب رحيم على الجزائريين».

(3) يقول الأستاذ القماري (6/ 209): «كانت المدارس المفتوحة لا تكفي حتى لأبناء المخلصين لفرنسا!! ففي القطر الجزائري كله خلال الخمسينات والستينات لا توجد إلا 42 مدرسة ابتدائية!!...».

(4) ورد في المرفوع ولا يصح.

وانكشف لهم الحال بعد الكِبَر والتجريب، وما بعد التجريب شاهدٌ حينئذٍ، لا ينبغي لعاقل أن يترك أولاده تغترّ مثل ما اغتر وهو يشاهد ولا يأتي هذا إلا من جاهلٍ معاند.

ولما يتدرب الصبيان في العلوم والصنائع لا شك أنهم ينتفعون ويكْفون مؤنتهم حال كبرهم، لأن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الدنيا دار التمحّل والاضطراب، والتشمّر والاكتساب. وليس التشمر مقصوراً في الدنيا على المعاد دون المعاش، بل المعاش ذريعةٌ إلى المعاد ومُعينٌ عليه، قال ﷺ: «**الدنيا مزرعة الآخرة**»[1]، وكما قال بعض العارفين: «العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان»، فقدّم علم الأبدان لأن بحفظ الصحة يتمكن الإنسان من كل عمل، ولذا قال بعض الصالحين: «الأكل من الدين»[2]، هذا في حالة الصحة والاعتدال هو دواء لألم الجوع فمن باب أولى إذا كان الإنسان مريضاً فهو أحوج إلى الدواء من الصحيح. وكل ذلك يلزمه معرفة طريق الوصول إليه ولا يمكن إلا بالتعليم والتعب والكد والاكتساب، وفي الخبر قال عليه السلام: «**من الذنوب ذنوب لا يكفِّرها إلا الهمُّ في طلب المعيشة**»[3]، وقال أيضاً: «**مَن طلب الدنيا حلالاً تعفُّفاً عن المسألة، وسعياً على عياله، وتعطُّفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر**»[4]، وقال

---

(1) أورده الغزالي في الإحياء (4/ 22) وقال العراقي: «لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً». وكذلك قال السخاوي كما في المقاصد الحسنة (227).

(2) هذا الكلام ليس على إطلاقه بل هو مقيد بما يتعلق به، فالأصل في الأكل أنه عادة لكن إذا تعلق بعبادة كالتقوي به على أداء الصلاة مثلاً صار له حكمه، وعلى ذلك يقاس قولهم: «العمل عبادة»، من باب كون الأمور بمقاصدها كما قرره الأصوليون وليس هو على إطلاقه فتنبه.

(3) قال العراقي (2/ 32): «أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في تلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف».

(4) أخرجه أبو نعيم في الحلية (2/ 110) من حديث أبي هريرة، وضعفه العراقي (2/ 59)، **قلت**: وفي إسناده الحجاج بن فرافصة وهو ضعيف.

أيضاً: «**إن الله تعالى يحب العبد المحترف ويُبغض البطال**»[1]، وقال أيضاً: «**أحل ما أكل الرجل من كسب يده وكل بيع مبرور**»[2]، ورُوي أن الحسين عليه السلام رأى رجلاً فقال له: «ما تصنع؟ قال: أَتَعَبَّد، قال: ومَن يعولك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك». وقال ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه أو منعه**»[3]، وفي الأثر: قال لقمان الحكيم: «يا بُنيّ، استعن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به»، وقال رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللَّهمَّ ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة»، وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله: «ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده، وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد:

---

(1) أخرج الجزء الأول من الحديث ابن عدي في الكامل بلفظ: «**إن الله يحب المؤمن المحترف**» من حديث ابن عمر وفي سنده أبو الربيع السمان وهو متروك الحديث. وقال العَجلوني في كشف الخفاء (1/ 291): «ورواه أيضاً الطبراني والبيهقي والحكيم الترمذي عن ابن عمر بلفظ: «**إن الله يحب العبد المؤمن المحترف**...» اهـ.
قلت: ثم أورد له شواهد، قال عنها السخاوي في المقاصد: «بانضمامها تتقوى». وفي ذلك نظر لا تسعه هذه العُجالة.
أما الجزء الثاني من الحديث، فأورده ابن السبكي في أحاديث الإحياء التي لم يجد لها أصلاً كما في طبقات الشافعية (6/ 311)، ونقل السخاوي في المقاصد (246) عن الزركشي قوله: لم أجده ـ يعني: بإسناد ـ.
وما دام المؤلف يصر على الاستشهاد بالأحاديث التي لا أصل لها في هذه القضية، فإليه حديث آخر من أحاديث الإحياء: «**إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس، ويبغض العبد يتعلم العلم فيتخذه مهنة**»، وهو أصح معناً وإن كان لا يصح إسناداً.

(2) هو بهذا اللفظ عند الغزالي في الإحياء (2/ 59)، وقال العراقي في التخريج: «أخرجه أحمد عن رافع بن خديج قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور**». وهو صحيح، انظر: الصحيحة للألباني رقم (607).

(3) أخرجه البخاري (1470) ومسلم (1042) عن أبي هريرة.

هذا رجل جهل العلم، أما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال: **«تغدو خِماصاً وترجع بِطانا»** فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، وكان أصحاب النبيِّ ﷺ يتّجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم إلى غير ذلك من الأخبار والآثار في فضل الاكتساب[1].

والآن أذكر لك بعضاً من العلوم والفنون المطلوبة، والحِرَف والصنائع المرغوبة، لتعرف أهميتها ولزومها في كل زمنٍ ومكان، وهي مفقودةٌ بالكلية عندنا أو بعضُها موجود إلا أنه واهي، وكلها متوقفة على معرفة اللغة الفرنساوية وكتابتها.

أول ذلك علم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والجغرافية والتاريخ والرسم وعلم تدبير الأمور الملكية المتشعب عنه عدة فروع عند الإفرنج، وهي الحقوق الطبيعية، والحقوق البشرية، والحقوق الوضعية، وعلم أحوال البلدان ومصالحها، وعلم الاقتصاد في المصاريف، وعلم تدبير المعاملات، والمحاسبات والخزندارية[2] وغيره. وكذا علم الفلاحة وفروعها ومعرفة أنواع الزروع وتدبير ما يليق لها، ومعرفة ما يخصه من آلات الحراثة، وكذا علم الطب وفروعه: التشريح والجراحة وتدبير الصحة وفن البيطرة ـ أي: معالجة الدواب ـ وفن سبك المعادن، وعلم الكيمياء وهو معرفة حل الأجزاء وتركيبها، ويدخل تحتها أمور كثيرة وعلم تاريخ الطبيعيات وفروعه مرتبة الحيوانات والنباتات والمعادن، وفن ترجمة الكتب العلمية وهو من الفنون الصعبة لأنه يحتاج إلى معرفة اصطلاحات أصول العلوم المراد ترجمتها.

هذا وإن العلوم الموجودة لدى الفرنساوية لا حصر لها، وأما بيان ذم الجهل وغوائله فلا يخفى، وكفى بلفظه دليلاً بل دليله ما تقدم في مدح ضده وهو العلم لأنهما من الأضداد بحيث إذا ارتفع أحدهما انحط الآخر

---

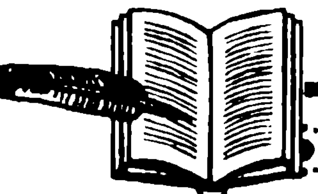
(1) انظرها في الإحياء (2/ 59، 60).

(2) هي شؤون المال أو الخزينة العامة، ويسمى صاحبها: خزندار أو الخزناجي.

بالضرورة كالنور والظلمة وكالعمى والبصر، وما ينشأ عنه من الموبقات شيء كثير من ذلك الحسد والحقد والبغض وقتل النفس والطمع والجَفا والغِلظ والتوحش وسوء الخُلُق وخُبث السيرة والأماني الباطلة والاشتغال والخوض في الأشياء الفارغة. ألا وإن الجهل لا غيره هو الذي حَيَّرَ صاحبه يقضي أوقاته بالبطالة والضلالة فساء الجهل صاحباً وبئس الضلال مركباً، وهذا القدر فيه كفاية لمن كان له قلب أو عناية، وبالله التوفيق.

تمت





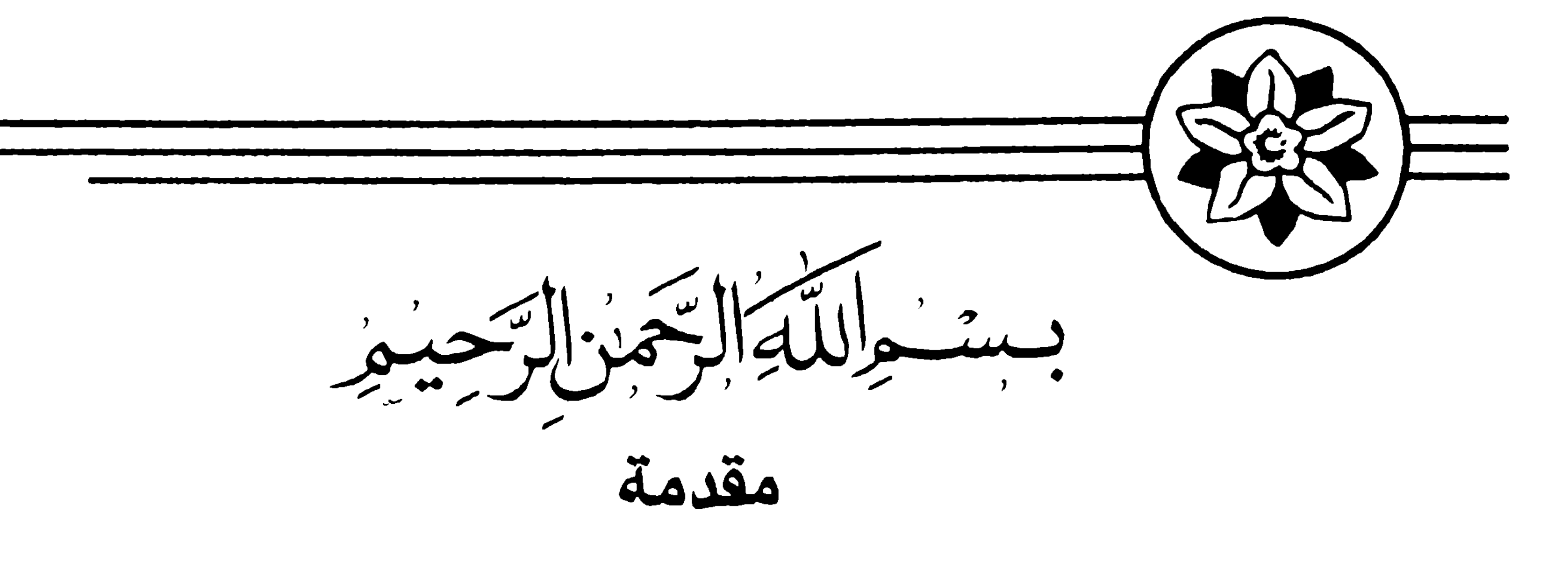
مبادىء التربية عند المسلمين

للشيخ المحقق محمد بن أبي شنب اللمدوني

ومعها

قصيدتان لابن شنب وابن الموهوب
في الحثّ على النهضة وطلب العلوم والمعارف

تحقيق وتقديم وتعليق
عادل بن الحاج همال الجزائري



مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فمع مطلع القرن العشرين وقبله بسنوات تعالت الأصوات في الجزائر تدعو إلى اليقظة والدعوة إلى العلم ونبذ التخلف والجهل بين الكتاب والشعراء، وفي ذلك يقول قائلهم:

أفيقوا بني عمي برقي المشارف ... وجدوا وكدوا في اكتساب المعارف
فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم ... ولم يبق إلا كل غمر وخالف

وقال آخر:

يا قوم ما لي أراكم في جهالتكم ... كقوم موسى طغوا فهالهم بصر
هذا الذي ترك العلوم خامدة ... وأفسد القطر حتى عمه الضجر

يقول الأستاذ القماري: «قد فهم أولئك الجزائريون بعد حوالي خمسين سنة من ذلك الصراع أن بقاء الذات يكمن في الخروج من التخلف والجهل والجمود، واكتشفوا أن للفرنسيين ثقافة غير ثقافتهم وأن لهم علوماً كانت من قبل مزدهرة عند العرب والمسلمين، وتأكدوا أن خروجهم من النفق المظلم يمر بالسيطرة على العلوم الحديثة، وأن الاستعمار رغم أنه شر كله، فإنه لا بد لقهره من التقدم بدل التخلف والعلم بدل الجهل، والحركة بدل الجمود...».

وهذا مجموع في بعض ما ألف في الموضوع وهو يحوي:

أولاً: مبادئ التربية عند المسلمين، للشيخ المحقق محمد بن أبي شنب اللمدوني، وأصلها مقالٌ كتبه بـ«المجلة الأفريقية»، عدد سنة **1897**م. وهي تشغل الصفحات: **(267 ـ 285)** منها.

والمقال يحوي نشر نصّ تراثي مع ترجمته الفرنسية، ومقدمة تحدث فيها عن التربية عند المسلمين مع تعليقات، والنصّ غير منسوب لكنه لمؤلف من المغرب الأقصى عاش في القرن **18**م.

وقد قمت بترجمة المقدمة إلى العربية مع ترجمة ونقل التعليقات الفرنسية إلى النص العربي. وميزتها عن تعليقاتي بحرف: **(ش)**.

وحذفت من تعليقاته ما شرح فيها بعض العبارات العربية بالفرنسية فهي لا تفيد القارئ العربي. وقد أرجع إلى الأصل العربي إن كان تعليقه منقولاً عنه.

أما **المؤلف** فإنني أحيل على ترجمتي له في الأعداد القادمة بإذن الله.

وعن **المقال** يقول الأستاذ القماري: «نشر النص المذكور وترجمته لإزالة فكرة مسبقة ومتحيزة وهي أن المسلمين ينفرون من تعليم أطفالهم. . . !!».

ثانياً: قصيدتان في الحث على النهضة وطلب العلوم والمعارف:

الأولى: لابن شنب السابق الذكر. وهي منشورة ضمن أحد أعداد جريدة «كوكب أفريقية». وهي تحوي **47** بيتاً، وذكر الشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي حفظه الله في ترجمته لابن شنب (ص: **40**) أنها **54** بيتاً فلا أدري.

الثانية: للشيخ المولود بن الموهوب الزريبي مفتي قسنطينة، وقصيدته هي المعروفة بمنظومة البدع والمسماة بـ«المنصفة». وقد شرحها شيخه الشيخ عبدالقادر المجاوي ـ رحمه الله ـ في كتاب «اللمع على منظومة البدع».

وقد استخرجتها من عدد (**153**) من الجريدة المذكورة، وقابلتها بتخميسها المنشور بجريدة «الفاروق» أعداد: (**56 ـ 57 ـ 58 ـ 60**). والتخميس للشيخ إبراهيم بن محمد الساسي السوفي، له ذكر في التاريخ الثقافي.

ومع ذلك فلا شك أن القصيدة تحوي بعض الأغلاط والتصحيفات التي لم أَتَنَبَّه لها، مثلها مثل القصيدة الأولى. فلك أيها القارئ غُنمها وعليّ غُرمها، وحسبي أني اجتهدت بقدر الطاقة وفوق كل ذي علم عليم، والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

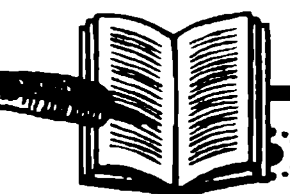
كتبه

عادل بن الحاج همال الجزائري

مع آذان مغرب يوم 26 رمضان 1427هـ

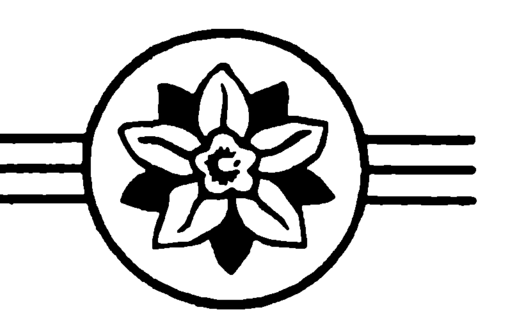
ـ جعلنا الله من عتقائه ـ





مبادئ التربية عند المسلمين

بقلم الشيخ الدكتور
محمد بن أبي شنب اللمدوني
المدرس بالمدرسة الثعالبية



[مقدمة]

إن الإسلام ليس عدوًا للتعليم، بل على العكس فهو يوجب على الإنسان أن يتعلم. ولكن هذا التعليم له غاية واحدة وهي معرفة الدين والعلوم التطبيقية.

الدين عند العرب هو الذي أنشأ المدارس، لأنها وجدت بسبب الرغبة في معرفة وفهم القرآن. وتعليم القرآن للصبيان ـ حسب أحد الكتاب العرب ـ هو دليل على الإحسان الذي يمنحه المسلمون في حواضرهم، والقرآن هو الذي يصقل النفوس الناشئة، ويعمل على تطوير مواهبها.

ليس من العدل على الإطلاق القول بأن المسلمين لم يؤلفوا شيئاً في موضوع التربية رغم ندرة ما كتبوه في ذلك. والحق أنه يوجد ضمن عدد كبير من المؤلفات القديمة صفحات بأكملها مخصصة للحديث عن مبادئ التربية. لكنّ هذه المواضيع مبعثرة وغالباً ما تكون ممزوجة بفصول أخرى لا علاقة لها بالموضوع، مما يجعل مهمة جمعها وتنسيقها لإعداد مقال تعليمي أمراً صعباً.

مؤلّف النص الذي بين أيدينا لم يذكر على صفحات الكتاب فهو مجهول بالنسبة لنا، ويمكن أن نعتبره طالب علم مغربي، فإن عادة «الخرقة» المذكورة في خاتمة تأليفه معروفة أيضاً في هذا البلد.

والظاهر أن تاريخ هذا العمل الصغير الذي يقدم لنا لمحة مختصرة عن مبادئ التربية عند المسلمين يرجع إلى بدايات القرن الماضي.

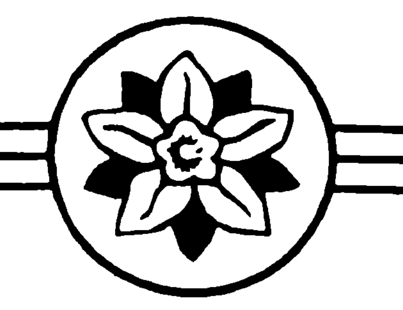
والنَّص ضمن مجموع كتب بخط جديد، قدَّمه لنا أحد معارفنا بالجزائر. وفيه بعض التصحيفات والأخطاء التي لن ننبِّه عليها في التحقيق لأنها من دون شك من عمل النساخ.

وأخيراً نرجو أن يسهم نشرنا لهذا العمل المتواضع في إزالة الخلفيات المتحيزة التي راجت على كثير من الناس للأسف، والتي تدّعي أن المسلمين ينفرون من تعليم أولادهم من الجنسين.

الجزائر **15** سبتمبر **1896**

محمد بن شنب





[النص]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وتعليمهم وما يليق بذلك

أما رياضة الصبيان وتأديبهم فهو من الأمور المطلوبة شرعاً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]. ويُقال: «مَن أدّب ابنَه صغيراً قرّت به عينُه كبيراً، ومَن أدّب ابنه أَرغَم أنفَ عدوِّه». اهـ.

ومن الأدب الرفقُ بهم والشفقة والحنانةُ عليهم، لأن التغلُّظ والشدةَ عليهم دائماً ربما أذَت البعض فاحذر ذلك. وفي الحديث: «**مَن لم يَرحم لا يُرحم**»[1]، وفي آخر: «**أقلُّ الناس رحمةً مَن لا يَرحم**»[2]، وكان ﷺ يقبل الحسين والحسن[3]. والصبيُّ أمانةٌ عند والده فينبغي له أن يراقبه من حين

(1) أخرجه البخاري (5997) ومسلم (2318) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) لم أجده.

(3) هو قطعة من حديث أبي هريرة السابق الذكر.

ولادته، فلا يستعمله إلا في حضانة المرأة الصالحة، لأن اللّبن الحاصلَ من الحرام لا بركةَ فيه، والله أعلم.

وينبغي أن يعلّم ولده الحياء، وأدبَ الأكل، والقناعة ونحوَ ذلك. ولا يتركَه يلطِّخ ثوبَه. وينبغي أن يذُمَّ عنده كثرةَ الأكل، ويمدح له قِلَّة الأكل، ويعلّمه الأدب في اللّباس والثياب، ويحفظَه من مخالطة الصبيان ومخالطة قُرَناء السُّوء، ويعلّمَه العقائد اللّطيفة ومعنى لا إلٰه إلا الله ومحمدٌ رسولُ الله ﷺ، والقرآنَ العظيم وأحاديثَ الأخبار وحكايةَ الصالحين، ويُجنّبه الأشعار[1] ومخالطةَ الأشرار.

ويعلّمَه أن لا يبصقَ في المجلس ولا يَمتخِط فيه ولا بحضرة غيره، ويعلمه كيفية الجلوس، وأن لا يُكثر الكلام، وأن لا يحلِف بشيء، وأن لا يكذب وأن لا يقول إلا حقّاً، وأن يوقِّر مَن هو أكبرُ منه، وأن ينصُت إليه عند الكلام، وأن لا يسُبَّه، وأن لا يكشِف أطرافَه كالرُّكبة ونحوِها، وأن لا يسرع في المشي، وأن لا يكثر الصّراخ عند ضرب المعلّم، وأن يكون شجيعاً[2]، وأن يلعب لعباً جميلاً بعد الخروج من المكتب ونحوه.

وبالجملة وعلى كل حال كل شيءٍ يُحمد شرعاً من آدابٍ وعلمٍ ومروءة وعلى الإطلاق وغير ذلك ينبغي أن يعلّمه إيّاه، ويتلطّف عليه في ذلك حتى يثبُت في قلبه ويرسَخ كما يثبت النقش في الحجر.

وكلُّ شيءٍ يُذمُّ شرعاً وعادةً ومروءة يجب عليه أن يحذِّره منه ويذكر

---

(1) من المعلوم أن النبيّ ﷺ كان يتكلم بألفاظ دون الشعر. انظر: القرآن الكريم: [الشعراء: **221 ـ 226**]، [يس: **69**]. **(ش)**.
قلت: وذلك إنما هو خاص به، ولا يعني أنه لا يجوز التكلم بالشعر، بل النهي موجّهٌ إلى الصبيان حتى لا يختلط عندهم حفظ الشعر بما هو أولى منه من حفظ القرآن أولاً ثم الحديث النبوي ثم بقية المتون العلمية وإن شاء جعل الشعر آخراً. كما هو معلوم في آداب طلب العلم.

(2) أي: شجاعاً.

ما في ذلك من الوعيد، ويُشدِّد عليه في ذلك حتى يخشى ذلك كما يخشى الثعبان والأسد والنار وغير ذلك.

ومهما رأى من الصبيّ فعلاً جميلاً أكرمه عليه ومدحه بين الناس ونحو ذلك، لتنشُط نفسه لفعل الأفعال الحميدة، والله أعلم. فإن خالف في شيء من ذلك في بعض الأوقات تغافلَ عنه وترك سبيلَه لئلّا يَهتك سترَه لا سيما إذا أسرّه الصبي واشتهر[1] في إخفائه، فإن عاد ثانياً لذلك عاقبه سرًّا، وأعظمَ له الأمرَ في ذلك بأن يقول له: إياك أن يطّلع عليك أحدٌ في مثل هذا فتكون مفضوحاً بين الناس، أو نحو هذا من الكلام. ولا يُكثر عليه القولَ بالعتاب في كل حين فإنه يُسقط المهابة والملامة، بل ينبغي أن يكون الأب حافظَ هيبةِ هذا الكلام معه فلا يوبّخه إلا أحياناً ويكون ذلك بقَدر ما يكفي الطعام من الملح.

وينبغي للأم أن تخوّفه بالأب وتزجُره على القبائح، والله أعلم. ولا فرق في جميع ما ذُكر بين الذّكر والأنثى فليتحفّظ في تأديب البنات كما يتحفّظ في تأديب الصبيان لأنهم شقائق الرجال في الفرائض والأحكام إلا ما كان خاصًّا بهنّ، والله أعلم.

ويجب على الأم أن لا تستحي في تعليم أولادها أمرَ الشريعة وكذلك الأب.

وينبغي للرجل أن يُقرئ ولده عند البلوغ[2]، وأن لا يقصد بالعلم إلا وجه الله الكريم والدار الآخرة، وأن مَن يقصد بها الدنيا خِيفَ من سوء الخاتمة، والله الموفق. ولا بأس بلعب البنات الصغار بصور العرائس[3]، والله أعلم.

---

(1) كذا بالأصل، ولعلها: اجتهد.

(2) هكذا ورد في الأصل «عند البلوغ»، وفعل «بلغ» اصطلاحاً يدل على البلوغ إلى سن الاحتلام، لكن الظاهر أن المقصود بهذه المرحلة هنا هو السن الذي يكون فيه الصبي مؤهلاً للتعلم والدخول إلى الكتاب (ش).

(3) من المعلوم أن الشريعة حرمت على المسلمين امتلاك صور ذوات الأرواح: تماثيل، لوحات، إلخ (ش). =

وأما اتخاذ المعلِّم على الأولاد بأجرةٍ معلومة بالأشهر أو السنة أو لموضعٍ من القرآن فهو جائز، وفيه فضلٌ كثيرٌ للوالد والمعلم. وقال ﷺ: «**خيرُكمَ مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه**»[1]، وهو شامل للوالد والمعلم، والله أعلم، فافهم. والأجرة في ذلك حلال لقوله ﷺ: «**أحقُّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**»[2].

ويجب على والد الصبي أن يتخير لأولاده مَن كان من أهل الدين والعفاف والتقوى والمعرفة ليقتدي به الصبي، وإن كان متأهلاً أو كبير السن فهو أحوط، والله أعلم.

ومن شروط المعلم أن يكون عارفاً لأحكام القراءات ومخارج الحروف وإلا فما يأخذه سحت. وينبغي أن يكون الموضع الذي يعلم فيه الصبيان بالسوق ونحوها، ويكره أن يكون في المسجد وفي صحنه لقوله ﷺ: «**جنِّبوا مساجدَكم صبيانَكم ومجانينَكم**»[3].

وحدُّ إدخال الصبي المكتب سبع سنين، ومَن شاء أدخله قبلها فواسع، والله أعلم. وليَنوِ عند إدخاله أداءَ ما فرض الله عليه من تعليمه لأن كلّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيّته، ويقال: أن ملكاً يأخذه بيده ويقول له: اجلس على نيةَ أبيك[4]، والله أعلم.

= **قلت**: أما لعب الصبيان فلها حكم خاص، وهو الجواز كما يدل عليه حديث عائشة في صحيح البخاري (**6130**) وغيره.

تنبيه: هنا مسألة خاصة بلعب الأطفال المسماة (باربي) وهي لعبة يُروِّج معها نمط اللباس الغربي وما يلحقه، فيرى بعض أهل العلم بحرمة اقتنائها للأطفال سداً لذريعة تعلق الصبي ونشأته على مشابهة الكفار، والله تعالى أعلم.

(1) أخرجه البخاري (**5027**) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (**5737**) من حديث ابن عباس.

(3) أخرجه ابن ماجه (**1/ 247**) عن واثلة، وسنده ضعيف كما قال السخاوي وغيره. هذا وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة جواز إدخال الصبيان إلى المسجد لكن بشرط عدم التشويش أو أذية المسجد أو المصلين. ويلحق بهم في الأذية بل أكثر المجانين فيمنعون لهذا الغرض.

(4) لا دليل عليه.

وليكتُب له المعلم أولَ دخوله البسملة والصلاة على النبيّ ﷺ فإن ذلك نافعٌ بإذن الله تعالى في إعانة المعلّم وحفظ الصبيان، والله أعلم. وليعلمهم بعد ذلك الهجاء والكتابة وحُسن الخط، والله أعلم. ثم القرآن والفرائض والعقائد وآداب الدين وما يحتاجون إليه في أمر دينهم، ولا يعلّمهم الشعر ونحوه، والذكور والإناث في جميع ذلك سواء، غير أن بعض العلماء قال: تُكره الكتابة للمرأة[1] والصواب خلافُه، والله أعلم.

---

(1) وهذا رأي الأمير عبدالقادر أيضاً قال: «كذلك شرائع الإسلام حرمت تعليم النساء الكتابة حتى لا يراسلن العشاق، بغرض الالتقاء بهم، ومعرفة الكتابة في هذه الحالة هي سبب للفتنة» (انظر: كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، صفحة 86 من نص مطبوع ببيروت، 1895، ـ ترجمة غوستاف دوقا، صفحة 118) (ش).

قلت: اتفق العلماء على مشروعية تعليم المرأة وهي في ذلك كالرجل، وشذ بعضهم في مسألة الكتابة فحرمها على المرأة، وممن قال بذلك عبدالحي الكتاني كما في التراتيب الإدارية (1/ 110)، وهو قول ضعيفٌ عقلاً وشرعاً. والدليل على ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه (2/ 154) بإسناد صحيح عن الشفاء بنت عبدالله قالت: «دخل علينا النبيّ ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: **ألا تعلمين هذه رقية النملة، كما علمتها الكتابة ؟**». قال الخطابي في معالم السنن: «في هذا الحديث دليل على أن تعلم النساء الكتابة غير مكروه». وقال الإمام مجد الدين ابن تيمية في المنتقى عقب هذا الحديث: «وهو دليلٌ على جواز تعلم النساء للكتابة» ووافقه على ذلك جماعة من العلماء.

وقال الشيخ المحدِّث الألباني بعد تصحيحه للحديث: «والحق أن الكتابة والقراءة نعمةٌ من نِعَم الله تبارك وتعالى على البشر، وهي كسائر النِّعَم التي امتن الله بها عليهم، وأراد منهم استعمالها في طاعته، فإن وجد فيهم مَن يستعمِلها في غير مرضاته، فليس ذلك بالذي يخرجها عن كونها نِعْمَةً من نِعَمِهِ، كنِعْمَةِ البصر والسمع والكلام وغيرها، فكذلك الكتابة والقراءة، فلا ينبغي للآباء أن يَحرموا بناتهم من تعلمها شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية، كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضاً، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث. والأصل في ذلك أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث، وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**»، رواه الدارمي وغيره، فلا يجوز التفريق إلا بنص يدل عليه، وهو مفقودٌ فيما نحن فيه، بل النص على خلافه وعلى وفق الأصل، وهو هذا الحديث الصحيح، فتشبث به ولا ترضَ به بديلاً، ولا تُصغ إلى مَن قال:

ما للنساء وللكتابة ... وللعمالة وللخطابة
هذا لنا ولهن منا ... أن يبتن على جنابة! =

وللمعلّم أن يؤدّبهم على قدر اجتهاده مما يراه كافياً في حقّ الجاني، والله أعلم. ومحلُّ الضرب باطن القدمين، والمضروبُ به سوطٌ ليّن عريض، والله أعلم.

وقال بعضهم: الضرب من ثلاثة إلى عشرة، وقال آخرون: من واحد إلى عشرين، وقال آخَر: من ثلاثة إلى سبعة وما زاد فهو تعدٍّ، والصواب في ذلك. والمتعدي هو ما ذكرنا لأن أحوال الصبيان تفترق وتختلف فمنهم مَن يكفيه الزجر بالكلام، ومنهم مَن يكفيه ضربة واحدة ومنهم غير ذلك، والله أعلم.

وبالجملة فالإكثار من الضرب مكروه، وذلك للظهر والبطن يورث قلّة الحفظ والفهم بل يزيل الحفظ والفهم حتى لا يبقى لهما أثر، وهذا مما شاهدناه عَياناً، وقلَّ أن ينتفع أحدٌ على المعلم الذي يُكثر الضرب وهذا مما شاهدناه بالعيان فيما علِمناه[1]، والله أعلم.

ولا يجوز أن يسُبّهم أو يُشتمون كيا قِرَدة أو نحوه. ولا يكون عليهم عَبوساً ولا منبسطاً كثيراً بل مهاباً في غير عُنف ومتلطِّفاً مشفقاً، والله أعلم.

= فإن به هضماً لحقّ النساء وتحقيراً لهن، وهن كما عرفت شقائق الرجال. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف والاعتدال في الأمور كلها». اهـ. من السلسلة الصحيحة (136/2/1) باختصار.

قلت: أما الحديث الذي استدل بها المحرمون وهو: «لا تعلموهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور»، فهو حديثٌ موضوع كما بيَّن العلماء. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة للألباني (رقم: **2017**).

تنبيه: في زماننا هذا نبه العلماء على مسألة **الهاتف** وآدابه وأنه يُخشى على المرأة ـ كما يخشى على الرجل ـ من استعماله من غير ضوابط وقيود، ولا يختص ذلك بالمرأة الكاتبة.

(1) ممن تكلم على هذه المسألة ابن خلدون في المقدمة، الفصل الثاني والثلاثون في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ص (540 ـ 541).

ولا يجوز أن يضربهم في غير منافعهم، ولا أن يولّي أحداً منهم على ضربهم فإنه فاسد، والله أعلم.

ولا يقبل شهادة بعضهم على بعض البتّة، وله أن يوكّل بعضَهم على تعليم بعض من غير تعيين، والله أعلم.

ولا ينبغي له أن يُكثر الكلام مع مَن مرّ به من بعض إخوانه في وقت تعليم الصبيان، والله أعلم.

وينبغي أن لا يمحُ الألواح إلا بماءٍ طاهر[1] أو في موضعٍ طاهر. وينبغي أن يهرق في الموضع الذي لا تطؤه الأقدام كالبئر ونَحوها، والله أعلم. وظهور المداد على الثوب لا يخل[2] بالمروة كما قال الشافعي[3]، والله أعلم.

مِدادُ الفقيه على ثوبه أحبُّ إلينا من الغالية[4]

ولا يمنعهم من تجفيف الألواح للشمس كما قيل: إنها تطلع لذلك[5]، والله أعلم. ولا يمنعهم من الخروج إلى قضاء الحاجة فإن ذلك ضرر، وإذا خرج أحدهم فلا يخرج غيره حتى يرجع.

---

(1) الماء (الطاهر) هو الذي لا يمكن الوضوء إلا به، وهو غير متنجس ولا متغير بشيء. (ش).

قلت: لا شك أن مقصود المؤلف هو ما ذكره الشيخ ابن أبي شنب هنا، لكن على اصطلاح فقهاء المالكية، الماء الطاهر هو غير الطهور، فالطاهر هو ما كان طاهراً في نفسه، غير مطهر لغيره، فيصلح للعادات لا للعبادات كالوضوء لتغيره بطاهر، وأما الطَهور فهو الذي عناه الشيخ في تعليقه.

(2) بالأصل: يخلو.

(3) مؤسس أحد المذاهب الأربعة التي تقسم العالم الإسلامي، ولد في 767م، وتوفي في 819م. (ش).

(4) الغالية هو العطر ذو اللون الأسود المتكون من مسك العنبر وروائح أخرى. ويستعمل كملمع للشعر. (ش).

(5) هذا باطلٌ ولا دليل عليه.

ولا يترك أحداً يأتي بدراهمَ للمكتب، ولا يترك أحداً يبيع لهم شيئاً في المكتب لا سيما إن كان مما يؤكل، ولا يتركهم يأكلون في المكتب وأقبح [من][1] ذلك أن يأكل معهم فإن ذلك نقص في المروءة. وفي الحديث: «**مَن أكلَ وعينان تنظُران فإنما أكل سُمًّا**»[2]. وفي الحديث أيضاً: «**الأكل في السوق دناءة**»[3]. وهذا إن أكل من طعامه، وأما إن أكل معهم من طعامهم فهذا أشَرٌ وشرّ، والله أعلم. فمن احتاج منهم إلى الغداء تركه يمضي إلى بيته بخلاف الشرب[4]، والله أعلم.

ولا يأخذ منهم شيئاً إلا بإذن آبائهم، ولا يستخدمهم إلا بشرطٍ أو عادة قامت مقام الشرط، ولا يُرسل لداره منهم بالغاً ولا مراهقاً وله أن يُرسل بعضهم في طلب بعض إذا كان الموضع قريباً وإلا فلا إلا بإذن أوليائهم.

وأيام سنة القراءة من صبيحة السبت إلى صبيحة الخميس، وأوقات التسريح ثلاثة: بعد المحو، وقبل الظهر، وبعد العصر[5]. ولا يُلزمهم بالليل إلا بشرط، ويَحطّ من أجرته الجمعة ونحوها.

وبطالتهم في الأعياد من ثلاثة إلى خمسة، وفي الختمة[6] يوم أو بعضه، وما فوق ذلك لا يجوز إلا بإذن آبائهم. وإن ختموا في مرة وأتوا بالخَرقة[7] في مرة فالصواب أن يُقرع بينهم ولا يوالي تسريحهم. ومَن مرض منهم عرّفه لبيته.

---

(1) زيادة مني يقتضيها السياق.

(2) لم أجده.

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (8/ 297 ـ 298)، وابن عدي (2/ 240) عن أبي أمامة، وورد عن أبي هريرة أخرجه الخطيب في تاريخه كما في الجامع الصغير، قال الغماري في المداوي (3/ 210): «قال الأزدي: وكِلَا الإسنادَيْن غير قائم».

(4) أي: يمكن أن يوجد في المكتب دلو لماء الشرب. (ش).

(5) أي: من الساعة الثامنة إلى الثامنة والنصف، ومن الساعة الحادية عشر إلى الواحدة، ثم أربع ساعات. (ش).

(6) أشار الشيخ أن الختمة هنا هي لحزب واحد.

(7) إذا أتم الصبي الحزب يتحتم عليه أن يعرضه على الشيخ. (ش).

وأما الخَرقة وهو ما يُعطى عند الختم فهي جائزة، ولا حدّ فيها على المشهور، وإنما هي على حسب الحال من العسر واليسر وتجويد قراءة الصبي، والله أعلم. ومَن امتنع منها أُخذت كَرهاً، والله أعلم. ومَن أخرج ولده بقربها لزمَته، والله أعلم.

تنبيه: يجب على كل وليّ صبيٍّ أن يجتنب البدع المُحدثة في الخَرقة في هذا الزمان كتزيين المكتب والدار بالحرير والتصاوير ونحو ذلك، وتزويق اللوحة بالفضة والحرير وركوبه كالعروس، واجتماع الطلبة عليه بالرقص والشطح والتجبر وغير ذلك بحضرة النساء. وكقراءتهم بعض الآيات باللحان الحسن عندهم بالتحريف، وكزغاريط النساء إلى غير ذلك مما يختلف باختلاف البلدان، فجميع ذلك بدعةٌ[1] وخُسران. فعلى العاقل أن يجتنب في وليمته وعرسه جميع المنكرات، وبالله التوفيق.

وقد أفتى الإمام القدوة سيدي أبو القاسم بن علي بن حجو[2] رحمه الله تعالى بتحريم مَن يفعل ذلك وفِسقه، والله أعلم، فقف عليه، وكذا سيدي عبدالله الهبطي[3] وابن رشد[4] وغيره، والله أعلم.

وأما إقامة المولد في المكتب والزوايا وغيرهما لأنه من أعياد

---

(1) عادة ما ترادف البدعة في تعريف المتأخرين كل ما كان منكراً وإسرافاً من الأمور دنيوية كانت أو دينية، وهو خلاف تعريف الأصوليين كالشاطبي في الاعتصام. وقد أصاب المؤلف في تعيين البدعة في موضوع تكلف تحسين الصوت بالألحان عند قراءة القرآن حتى يخرجه عن ألفاظه الصحيحة، وراجع في ذلك بدع القراء للشيخ بكر أبو زيد.

(2) لم نجد أي معلومة عن هذا الرجل الذي يظهر أنه مغربي. (ش).

(3) يرجع أصله إلى قبيلة هبطة المرابطية، بنواحي تطوان.. (انظر: ابن القاضي، جذوة المقتبس، ص: 258، ط1، 309). (ش).

(4) أبو الوليد محمد بن رشد، عرف بابن رشد، اشتهر بالطب، الفلسفة، القضاء والتأليف. ولد بقرطبة في 520 وتوفي بالمغرب في 595 هجرية. (انظر: رينان، ابن رشد/ مونخ، ميلانج/ ابن الأبار، ص: 269). (ش).

المسلمين[1] فلا بأس باستعمال المباحات فيه. ويُستحب فيه قراءة قصائد المدح[2]، والله أعلم. ومتى انضاف إلى مكروهٍ كان ممنوعاً بالختمة، والله أعلم.

ومما يجب على المعلم أن ينوي بالتعليم لوجه الله تعالى خالصاً وأن الأجرة إنما هي فتوحٌ ورزقٌ ساقه الله إليه، وأن يتقي الله تعالى في أولاد المسلمين، وأن يرى نفسه أنه راعٍ عليهم، وأنه مسؤولٌ عن رعيته[3] فهو أسلمُ له، والله الموفق العليم.

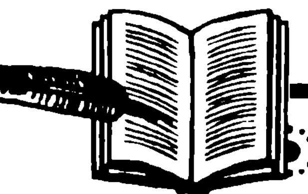
انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم تسليماً. . .



(1) لا يثبت من أعياد المسلمين سوى يومان عيد الفطر وعيد الأضحى والجمعة ثالثها، ومَن خالف ذلك فعليه بالدليل.

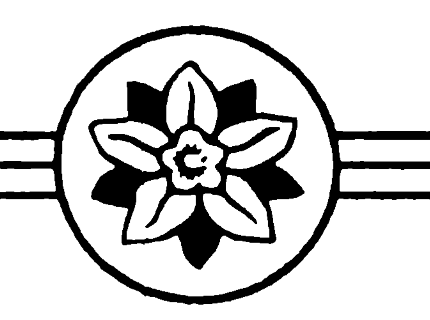
(2) قصائد المدح هي القطع الشعرية الموضوعة لمدح نبي أو ولي. (ش).

(3) بالأصل: رعايته.



قصيدة النصائح المفيدة في اقتناء العلوم والاشتغال بما يرقي العقول من المعارف والآداب وينهض بها من حضيض الكسل

نظم الشيخ محمد بن أبي شنَب اللّمدوني
رحمه الله تعالى



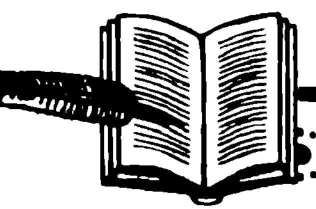
أفيقوا بني عمّي برَقي المشارفِ ... وجِدُّوا وكِدُّوا في اكتساب المعارفِ
فقد ذهب الأعلامُ والعلمُ بينكم ... ولم يبقَ إلاّ كلُّ غُمْرٍ وخالفِ
خلَت أربُعُ العِرفانِ واستوطنَ البَلا ... وعقَّ غُرابُ الجهل حقًّا بشارفِ
فيا وَحشتي من طالبٍ ومُدرِّسٍ ... ومُنشدِ أشعارٍ وراوِي اللّطائفِ
بقُطرٍ غدَت أطلالُه أيُّ مَرْبعٍ ... وأخنَى عليها عَجْرَفِيُّ المسارفِ
أيا أيها الباكي على فقدِ دارسٍ ... وتِلوِ كتابٍ في أعزِّ المواقفِ
تحسَّر ولا تُبقِ الدموعَ بمُقلةٍ ... فإنَّ الدروسَ الغُرَّ طَيُّ الكواسفِ
ويا طالباً عِلماً مُجدًّا لنحوِهِ ... وما خافَ من بعدُ وجوبَ التنايفِ
ألا سِرْ إلى أخرى لنيلِ مقاصدٍ ... فقد خابتِ الآمالُ عند الخوالفِ
وسَلْ جامعاً منها وزاويةً فقد ... بكَت منذُ أزمانٍ لفقدِ العوارفِ
وعَزَّ مُريدٌ للعلومِ تظاهُرا ... وعَزَّ فقيهٌ لاجتلاء المصانفِ
فأين دروس النحو منطقُ ناطقٍ ... إذا قال «أمَّا بَعدُ» يُزري بكاشفِ
وأين دروس الفقه قُسْطاسُ عاقلٍ ... ونَبهٌ لغفلانَ ونَهجٌ لخائفِ
وأين المعاني والبيانُ فقد عفَت ... رسومٌ بها أودَت هبوبَ العواصفِ
وأين بديعُ الحسنِ حقًّا لطالبٍ ... إذا ما جمالُ القول ليس بوارفِ
وأين عَروضُ الشعرِ ميزانُ مُنشدٍ ... أعُرضَ فُقدانٍ وبِيدَ بجارفِ
ألم تنظروا يوماً إلى ما هَوى بكم ... وكان بَني الأخيارِ أقضى المخاوفِ

• ألم تنظروا يوماً إلى ما أتى به بِعادٌ وجيرانٌ وكلُّ محالفِ
• ألم تعلموا أنّ العلومَ رفيقةٌ لكلِّ غريبٍ عند بعض المآلفِ
• وصاحبُها تكسوهُ نوراً ورِفعةً وفَخراً وظَفراً بالعدوِّ وشانفِ
• ألم تعلموا أن العلوم مَهابةٌ وسابعةٌ تُحمى لدى كلِّ واجفِ
• تعالَوا إلى مجدٍ وفضلٍ وسُؤدَدٍ وخيرٍ وإحسانٍ وعزٍّ وطارفِ
• هلمُّوا إلى علمٍ شريفٍ وماجدٍ يزيدُ الفتى قدراً بحُسنِ المطارفِ
• هو العلمُ عُمرانٌ وأسٌّ لبلدةٍ ومِرقاةُ أحسابٍ وطبٌّ الضعائفِ
• هو العلم إرشادٌ لمن ضلَّ عن هُدى فمن ضلَّ أهداه الذي في الصحائفِ
• هو العلم تِرياقٌ وطبُّ الذي ضَنى وما الحِرزُ إلاّ في بطون المصاحفِ
• كنوزٌ لمسكينٍ وأُنسُ مسافرٍ وِقاءٌ إذا هبّت شِداذُ الحراجفِ
• وما لي أراكُم في التكاسُل دائماً فهلاّ أفقتُم من غفولِ مشارفِ
• بلى لقد اخترتم لذيذَ المعاش عن تِلاوةِ أوراقٍ وكسبِ التحائفِ
• ونزّهتم العينين في كلّ تالدِ وخُضتم بحاراً في الزّهى والطرائفِ
• فبالكَدِّ إدراكُ المقاصدِ والمُنى ومَن يَجتهدْ يوماً يكن خيرَ عارفِ
• وما نال مِكسالٌ سِوى الهمِّ والأذى نوالَ عليلٍ وسبيلَ الزّعانفِ
• سما الجار بالعرفان أسمى تقدّمٍ إلى ذُروةِ العُمران لا بالخوالفِ
• إذا به حلَّ الأمر فاشتدَّ حزمُه وعزمُه مُزرى بالنّوى المتقاذفِ
• ويقتحمُ الأخطارَ بالسّير والسُّرى تحت المطايا المُنجياتِ العفائفِ
• ولا يوصلُ المبعوثَ إن جدَّ جِدُّهُ على أشرف المقصودِ غير العلائفِ
• ترى كلَّ مَن في الأرض طيراً وماشياً يُرى بين مقطوفٍ وقاطٍ وقاطفِ
• فلا شكَّ ذو الأخلاقِ والعلمِ قاطفٌ وغيرُه مقطوفٌ كقطفِ النواصفِ
• أما أعجبتكم حالُ شيخٍ مدرّسٍ تزهَّدَ عن دُنيا بأكلِ الرغائفِ
• وهلاّ تركتم لُبسَ خِزٍّ وحُلَّةٍ بأرديةِ الكتّانِ لونِ الخفائفِ
• لقد طالما كنتم بعِزٍّ مؤثَّلٍ بعلمٍ وأشياخٍ أعز الزخارفِ
• أيا راشداً أُرشد واهدِ أهدى هدايةٍ أناساً أَضلُّوا عن سبيلِ المعارفِ

- ويا صاحبَ الإكرام واللُّطف والنَّدى ومَـن ذا أُنـاديـهِ لـنـيـلِ الـعـواطـفِ
- ومَن يقصدِ المغمومَ عند مصيبةٍ وكَـرٌ مُـلِـمَّـاتٍ وضـربِ الـمـعـاطـفِ
- تـقـبّـل دُعـائـي والـرَّجـاءُ مُـؤَمَّـلٌ فـآتِ شـفـاءً لـلـقـلـوبِ الـرّواجـفِ
- بـجاهِ شفيعِ الخَلقِ طَهَ رسولِنا[1] وآلِـه والأصـحـابِ خـيـرِ الـخـلائـفِ
- فصلَّى عليه العَدلُ ما ضاءَ كوكبٌ وآلٍ وأصــحــابِ هُــداةِ الـكـتـائـفِ

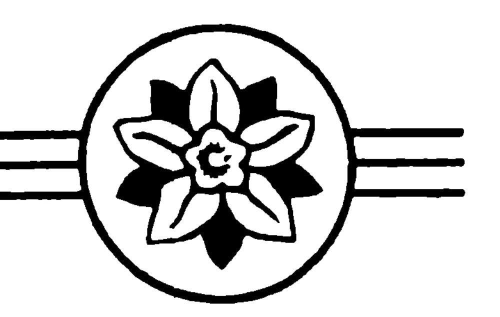


(1) التوسل بجاه النبيّ ﷺ أو به بعد مماته توسلٌ ممنوعٌ شرعاً. أما حديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، فلا يصح.



منظومة البدع المسماة بالمنصفة

بقلم مفتي قسنطينة
المولود بن الموهوب الزريبي



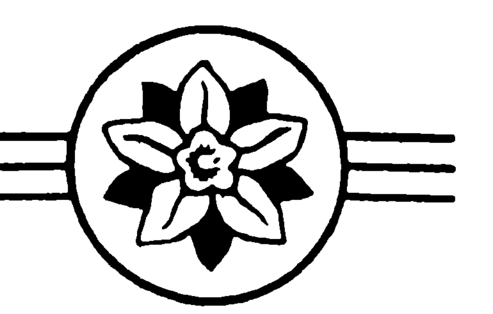
صُعودُ الأسْفَلَين به دُهِينا ... لأنّا للمعارف ما هُدِينا
رَمَت أمواجُ بحر اللّهو مِنّا ... أُناسًا للخُمور مُلازِمينا
أضاعُوا عِرضَهم والمالَ حُبًّا ... لبنتِ الحَان فازدادوا جُنُونا
تَوَاصَوا بالتنافُر فاطمأنّت ... لحِقدِهمُ قلوبُ الكائِدينا
فكم أكَل العَقّارُ عَقَارَ قوم ... أُصُولُهمُ له أَفْنَوا سِنِينا
وكم ساق الكُحولُ على أناسٍ ... كحيلاً منه جمعَهمُ أُهِينا
وكم رقَم القِمار على بيوتٍ ... دُيوناً وفق قول الغالبينا
وكم داس الرِّبا أعناقَ قوم ... ولولاهم لسادوا منعَّمينا
سَرَت فيه حلاوتُه فأرسَت ... وأسرت الحلائل خاضعينا
تعدَّوا طورَهمُ فطارت ... سعادتهم، وجاء المقتُ حينا
حروبٌ في بحارٍ مُفجعاتٍ ... تُحتِّم إرث غير الآمنينا
معامعُ ما لداخلها فلاحٌ ... لأنَّ لها لدى كلٍّ فُنونا
فهل مِن منتهى لحروبِ سِلم ... وهل سلمٌ يروقُ الجامعينا
ألا يا دهرُ يكفي ما بُلينا بـ ... ـه من نشر ذي الأمراض فينا
أليس اليُسرُ يأتي بعد عُسرٍ ... فهل كان الشُّفاء لنا قرينا
نعم إنّا شُفِينا إذ سُقينا ... كؤوسَ الجهل لكن ما رَوِينا
ينادينا الكتاب لكلِّ خيرٍ ... فهل كنا لذلِك سامعينا

ينادينا الحديثُ لكلِّ فضلٍ فهل كنا بفعلٍ قائمينا
يقول لنا النَّصوحُ ألا استفيدوا فَجَرنا، واتَّخذنا الصَّدَّ دِينا
فإنّا الجاهلون إذا فعلنا وإنّا الفاعلون إذا نُهينا
وإنّا النّاكرون لكلِّ بِرٍّ وإنّا الرّاكنون إلى الذين
وإنّا العاشقون لكلِّ غَيٍّ وإنّا الساخطون إذا ابتُلِينا
وإنّا المُخلِفون إذا وعدنا وإنّا القاصرون إذا دُعِينا
وإنّا الحاسدون إذا رأينا نعيماً عند قومٍ آخرينا
وإنّا القادحون إذا سُئلنا على شخصٍ وإن كان الأمينا
وإنّا المُكرِمون لذي فُجورٍ وإنّا الخائبون لمن يَلينا
وإنّا التابعون لكلِّ وَهمٍ فسَلْ عنَّا عبادتَنا الجُنونا
وسل (زارا) و(نسر) مسيدَ طبلٍ وزينتها تَبيع التابعينا
وسل عَنّا السلاحفَ في غرابٍ وأعطاراً تُراق وعائمينا
وسل غاباً لحكم الجنِّ أضحى يقيناً كلَّ ضُرٌّ قد يقينا
وسل عنا الحمام لدى حمّامٍ نُذبِّحه بلا اسمٍ عامدينا
وسل بِدعاً نبدِّعُ ناكريها ونحمِل في إقامتها الدُيونا
ولائمُنا ولائمُنا عليها ننفِّذها، وندعوه المَهينا
يُعظَّم مَن تهن دون نُكرٍ يُحقَّر مَن يُعرِّفنا اليقينا
ونفزَع للخطوط لعلمِ غيبٍ فهل جئنا لعلمٍ فازعينا
ونطلبُ بالعزائم كنزَ أرضٍ ونُبطِل نصرةً للكاذبينا
ويأخذ مالَنا مَن بالأناثي يزيِّن حانةً والمطربينا
نرى الأبناءَ بالإهمال صرعاً ويمنعنا التخاذل أن نُعِينا
تفاخَرنا بكِبرٍ واحتقارٍ وقذفٍ، باعتبار الخائنينا
ألا يا قوم ما الإسلام هذا ودينُ الله ربِّ العالمينا
إلى الإسلام، يأمُرنا بعلمٍ وسَيرٍ في المنافع ما حَيِينا
وجمعٍ بين دنيانا وأخرى تدبّر قولَ خير المرسلينا

ورِفْقٍ واقتصادٍ واجتهادٍ ... وإحسانٍ لكلِّ مُجاورينا
وصِدقِ القولِ مع تحريرِ نفسٍ ... من الأوهام ضِدَّ المفسدينا
وجِدٌّ في التعاون للمعالي ... بما يَشفي الضِّعاف العاجزينا
وتزيينِ العقول بما يُرينا ... عظاماً في عيون الزائرينا
ويأمرنا ويأمرنا ولكن ... عصينا البيِّنات مُعاندينا
ولو أنا تدبَّرناه حقّاً ... لكنّا بالمحاسن آخذينا
ولو أنا تدبّرناه أمراً ... ونهياً، لم نُعن فينا اللَّعينا
ولو أنا استفدنا ما فَسدنا ... فساداً سَرَّ جمع الشّامتينا
ولو أنا سعَينا ما سعَينا ... لفقرٍ في قِفارِ الجهل هَونا
ألا يا عينُ ما يُجدي بكاءٌ ... وإن كنا لخنسا مشبَّهينا
وما بندامة الكُسَعيِّ يأتي ... شفاءٌ يُبرىءُ الدّاءَ فِينا
ولكن باتفاقٍ واقتضاءٍ ... وبذلِ المال مثلَ الباذلينا
لنصرِ العلم، فالجُهّال موتى ... تعالَوا للحياة مُبادرينا
تعالَوا للسّعادات اطلبُوها ... بعلم، واتّقوا الله المتينا
تعالَوا واصرِفوا الأموالَ فينا ... نرقِّيكم فقد ضِعتم سِنينا
تعالوا واستفيدوا مِن سواكم ... وسيروا للمعارف راغبينا
تعالوا واصبروا صبراً قليلاً ... لحربِ الجهل حَزماً راكبينا
فهيّا يا فروع العلم هيّا ... وهيا لا تكونوا قانطينا
فقد بلَغت أوائلكم بهدي ... من القرآن مبلَغها المبينا
أنار عقولَهم وأزال راناً ... وأطفأ نارَ حقدِ القادحينا
وحثّ الكلَّ فاتّبعوه جمعاً ... ووُحداناً فكانوا الفائزينا
وكُنّا النازلينَ بكلِّ أرضٍ ... وكانوا للمعارفِ ناشرينا
وكانوا التاركين لكلِّ قُبحٍ ... وكانوا للحقائقِ ناصرينا
سلُوا عن عملهم بغدادَ شرقاً ... وقُرطبةَ وأخذِ الوافدينا
سلوا فاساً وقاهرةَ، بُخارى ... وبصرةَ تُبصر الحقَّ اليقينا

سلوا حربَ الصّليب فكم أفادت سواكم من علم السالفينا
قبيحٌ ذكرُها أفدت نفوساً وإن أحيَت بعلم آخرينا
سلوا (دروى) و(مركوبول) عنهم و(سيديو) فكلٌّ لن يمينا
سلوا التاريخ من غَيرِ وسيروا عباد الله سير الصالحينا
أعينُوا واستفيدوا واستعينوا فوالي البِرِّ عَونُ المسلمينا





فهرس المراجع

1 ـ **آثار محمد البشير الإبراهيمي**، جمع نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت.

2 ـ **أبجد العلوم**، لصديق حسن خان القنوجي، وضع حواشيه وفهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، **1420 ـ 1999**.

3 ـ **إحياء علوم الدين**، للغزالي، دار القلم ـ بيروت، الطبعة الأولى (دون تاريخ).

4 ـ **أعلام المغرب العربي**، لمحمد الصالح الصديق، دار الأمة ـ الجزائر.

5 ـ **تاريخ الجزائر الثقافي**، لأبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى **1998**.

6 ـ **التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية**، للشيخ عبدالحي الكتاني، دار الأرقم ـ بيروت، الطبعة الثانية (دون تاريخ). وهي طبعة ناقصة.

7 ـ **تعريف الخلف برجال السلف**، للحفناوي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت والمكتبة العتيقة ـ تونس، الطبعة الثانية **1405 ـ 1985**.

8 ـ **تلخيص العلل المتناهية**، للذهبي، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى **1419 ـ 1998**.

9 ـ **تلقين الوليد الصغير**، لعبدالحق الإشبيلي، تحقيق وتخريج وتقديم، أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى **2003 ـ 1424**.

10 ـ **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبدالبر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي ـ الدمام، الطبعة الثالثة **1418 ـ 1997**.

11 ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الخامسة **1407**.

12 ـ **الدرر المنتثرة**، للسيوطي، تحقيق الشيخ خليل محيي الدين الميس، طبع دار العربية توزيع الكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1404 ـ 1984.

13 ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، للألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الجديدة.

14 ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة**، للألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الجديدة.

15 ـ **سنن ابن ماجه**، دار الجيل ـ لبنان (دون تاريخ).

16 ـ **سنن أبي داود**، دار الكتاب العربي ـ بيروت (دون تاريخ).

17 ـ **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (دون تاريخ).

18 ـ **شريط سمعي بعنوان «الإسلام في الجزائر ماضيه وحاضره»**، للبشير الإبراهيمي (خاص).

19 ـ **صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني**، مكتبة الصفا ـ القاهرة، الطبعة الأولى 1424 ـ 2003.

20 ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**، مراجعة الشيخ خليل الميس، دار القلم ـ بيروت، الطبعة الأولى 1407.

21 ـ **الضعفاء**، للعقيلي، حقَّقه ووثَّقه الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى 1404 ـ 1984.

22 ـ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، للألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة 1410 ـ 1990.

23 ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، لابن السبكي، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار هجر ـ مصر، الطبعة 1413.

24 ـ **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، تصنيف الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، مراجعة أ.د. عثمان بدري، الجزائر 2002.

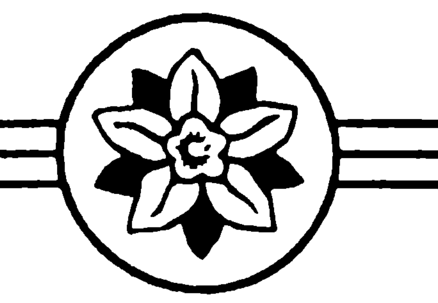
25 ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوي، دار الحديث ـ القاهرة (دون تاريخ).

26 ـ **الكامل في الضعفاء**، لابن عدي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد عوض، والدكتور عبدالفتاح أبو سنّة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى 1418 ـ 1997.

27 ـ **كشف الخفا ومزيل الإلباس**، للعجلوني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الرابعة 1405 ـ 1985.

28 ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية 1413 ـ 1992.
29 ـ **كشاف اصطلاحات الفنون**، للتهانوي، وضع حواشيه أحمد حسن بسبج، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1418 ـ 1998.
30 ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للمتقي الهندي، اعتنى به: إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية (دون تاريخ).
31 ـ **مجلة الشهاب**، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى.
32 ـ **المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي**، لأحمد بن الصديق الغماري، دار الكتب ـ مصر، الطبعة الأولى 1996.
33 ـ **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ـ بيروت (دون تاريخ).
34 ـ **مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف (1907 ـ 1956)**، جمع وإعداد المختار بن عامر وخالد مرزوق، الجزائر.
35 ـ **المعجم الكبير**، للطبراني، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (دون تاريخ).
36 ـ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب**، للونشريسي، خرَّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، 1401 ـ 1981.
37 ـ **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار فيما في كتاب الإحياء من الأخبار**، لزين الدين العراقي، مطبوع بهامش الإحياء للغزالي.
38 ـ **المقاصد الحسنة**، صحَّحه وعلَّق حواشيه عبدالله محمد الصديق، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى 1407 ـ 1987.
39 ـ **مقدمة ابن خلدون**، تشكيل رشيد عطية، وتدقيق المعلم عبدالله البستاني، مكتبة لبنان، الطبعة الرابعة 1990. وهي طبعة ناقصة.
40 ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي، دار الفكر ـ بيروت (دون تاريخ).





فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة

إرشاد المتعلمين

نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية

مبادئ التربية عند المسلمين

الموضوع	الصفحة




سلسلة التعريف بالتراث الجزائري ٢
إرشاد المتعلمين
تأليف
شيخ الجماعة عبد القادر بن عبد الله المجاوي التلمساني
نزيل قسنطينة
(١٨٤٨ - ١٩١٤م)
ويليه
نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية
بقلم
محمود ابن الشيخ علي الجزائري
ويليه
مبادئ التربية عند المسلمين
للشيخ المحقق محمد بن أبي شنب المدوني
ومعها
قصيدتان لابن شنب وابن الموهوب
في الحث على النهضة وطلب العلوم والمعارف
تحقيق وتقديم وتعليق
عادل بن الحاج جمال الجزائري
دار ابن حزم






9 789953 815626